قصة السيدتين زينب ونفيسة
رضي الله تعالى عنهما

تأليف
الكاتب الإسلامي الشيخ
بكر محمد إبراهيم
(أبو هيثم)

النـاشـــر
المكتبة المحمودية
ميدان الأزهر – ت : ٥١٠٣٠٦٧

رقم الإيداع ١٦٢٢٤ / ٢٠٠١

دار البيان للطباعة
هدفنا نشر الكتاب الأسلامى
تليفون وفاكس : ٢٩٧٠١٨٠

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله .

وبعد ..

فهذه قصة السيدتين زينب ونفيسة رضى الله عنهما ، وفى ثنايا القصة نعرض لسيرة الإمام الحسين رضى الله عنه ، وسيرة الحسن الأنور والد السيدة نفيسة رضى الله عنها .

هؤلاء خيرة الأمة أبناء الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار مصابيح الدجى وخير البشر ، أئمة الهدى ، أهل الصدق والوفا .

وقصة هؤلاء الخيار من أهل البيت تروى بطولات وأمجاد وتضحيات سجلها التاريخ بأحرف من نور . وتدين رجالاً أنذالاً قاتلوا أهل البيت وقتلوهم ظلمًا وعدوانًا .

فى هذه السيرة سجلنا عظمة أهل البيت وصمودهم أمام الباطل ودفاعهم عن الحق والعدل حتى آخر رمق من حياتهم وما ضعفوا وما استكانوا وواجهوا الطغاة والجبابرة والزنادقة .

فى هذه القصة الكثير من العبر والعظات ، وما حاق بالظالمين من ثأر وانتقام وخزى وندامة على يد رجال يسمون التوابون ندموا على التفريط فى الدفاع عن الحسين والتخلى عنه فهبوا يثأرون من قاتليه .

قال تعالى : ﴿ إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ . اللهم ارزقنا حبهم واحشرنا فى زمرتهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الشيخ بكر محمد إبراهيم

❊ ❊ ❊

بيعة يزيد [(١)]

لما تنازل الحسن بن على رضى الله عنه عن الخلافة لمعاوية خلص له الملك ، وينقل عنه قوله : « إنى لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ، ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا » ولقد كان ناس يجابهونه بقواص الكلم فى وجهه وأمام الناس فلا يزيد على أن يضحك ،ثم يضحك . . ثم يجزل لهم العطاء .

ولقد كتب يوما لزياد ـ واليه على الكوفة والبصرة ـ يقول له : « إنه لا ينبغى أن تسوس الناس بسياسة واحدة ، فيكون مقامنا مقام رجل واحد . . ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة ، فيستريح الناس بيننا » .

وكان مصرع حجر بن عدى وأصحابه على مقربة من قصره بالشام بغير جريرة ولا ذنب حدثا جللاً وحادثًا شنيعاً .

ثم وصيته إلى ولده يزيد أن إذا خرج عليك عبد الله بن الزبير فظفرت به فقطعه إربا . . إربا .

وكان فرض معاوية ليزيد خليفة للمسلمين كان السبب المباشر فى مأساة كربلاء ، وما تلا كربلاء من أهوال شهدتها مكة وشهدتها المدينة على نحو أليم . . هذه الأحداث التى كانت سببا مباشرا فى ضياع الملك من بيت معاوية وذريته إلى الأبد بعد أربع سنوات من وفاته ثم انتقال هذا الملك إلى بطن آخر من بطون بنى أمية ، وهم بنو مروان .

فحين أحس معاوية بدنو أجله شرع على عجل يفرض يزيد على الناس

(١) أبناء الرسول فى كربلاء - بتصرف .

ويهيئ له مكانه .

وبدأ بالمدينة حيث كان بها نفر قليل من بقية الصحابة ولم يكن واليه عليها وقريبه مروان بن الحكم يعرض الأمر على المسلمين الذين احتشدوا فى المسجد الكبير ، حتى جابهته معارضة شديدة ، ولقد وقف عبد الرحمن بن أبى بكر يقول لمروان :

والله ما الخيار أردتم لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل .

وتلاه الحسين فرفض البيعة وتلاه عبد الله بن الزبير . فأرسل مروان بن الحكم إلى معاوية يبلغه بأمر المعارضة ، فأرسل معاوية إلى ولاته الآخرين على بقية الأمصار آمرا إياهم أن يسوقوا الوفود إلى الشام لبيعة يزيد ، وأدى الذهب والسيف دورهما فى حمل الناس على المبايعة .

وقرر معاوية السفر بشخصه إلى المدينة ، وهناك حاول إقناع زعماء المعارضة عبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، وعبد الله بن عمر دون جدوى ، وأذاع معاوية فى الناس أنهم بايعوا .

وقد كان معاوية وعد الحسن بن على رضي الله عنه أن يتولى هو أى الحسن الخلافة من بعده ثم تكون شورى للمسلمين .

وبدأ المسلمون يتذمرون من بيعة يزيد ويتهمونه بالعبث والمجون والخلو من مؤهلات الخلافة من العلم والحلم والذكاء والأمانة .

❊ ❊ ❊

خلافة يزيد

وفى العام الستين للهجرة مات معاوية ، لينتقل الأمر من بعده إلى يزيد ، وبدأ يزيد عهده بإنفاذ الوصية التى تركها له أبوه قبيل وفاته : « إنى لا أخاف عليك إلا أربعة رجال : الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن الزبير .

فأما الحسين بن على ، فإن أهل العراق لن يتركوه حتى يخرجوه إليهم ، فإن فعل فظفرت به فاصفح عنه .

وأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبارة ولا يريد الخلافة إلا أن تأتيه عفوا .

وأما عبد الرحمن بن أبى بكر ، فليس له عند الناس ما يجعله يطمح إلى طلبها ، أو يحاول التماسها إلا أن تأتيه عفوا .

وأما الذى سيجثم لك جثوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، حتى إذا أمكنته فرصة وثب عليك ، فذلك هو عبد الله بن الزبير ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا ، إلا أن يلتمس منك صلحا ، فإن فعل فاقبل منه ، واحقن دماء قومك بجهدك . . وكف عاديتهم بنوالك - عطاءك - وتغمدهم بحلمك .

جلس يزيد حيث كان يجلس أبوه من قبل وسيق الناس إليه يبايعونه ملكاً ، وكتب على الفور إلى عامله بالمدينة - الوليد بن عقبة بن أبى سفيان - بهذا الأمر الحاسم :

« أما بعد . .

فخذ حسينا ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر بالبيعة أخذا شديدا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا ، والسلام » .

واستنجد الوليد بمشورة مروان بن الحكم فقد كان واليا على المدينة قبله ، ثم سخط قرار معاوية إذ كان يرى نفسه بحكم سنه ومشيخته فى بنى أمية أحق بها وأولى . ولخص مروان مشورته للوليد فى هذه الكلمات النكدة :

. . أما ابن عمر ، وابن أبى بكر ، فلا أراهما يريان القتال ، ولكن عليك بالحسين وعبد الله بن الزبير ، فابعث إليهما فإن بايعا ، وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يشيع فى الناس نبأ موت معاوية ، فيثب كل واحد منهما فى ناحية .

❊ ❊ ❊

الوليد بن عتبة يرسل فى طلب الحسين وابن الزبير

وفى طريقهما إليه يسأل ابن الزبير الحسين : ترى فى أى أمر بعث إلينا فى هذه الساعة ؟

ويجيبه الحسين رضى الله عنه : أحسب أن معاوية قد مات ، وقد بعث إلينا للبيعة ، ويعودان أدراجهما دون أن يواصلا السير إلى الوليد ، فأما عبد الله بن الزبير فقد انتظر مجئ الليل ، ثم حمل متاعه ، وركب راحلته وسافر إلى مكة . وأما الحسين فيأخذ نفرا من أتباعه ، ويسير بهم إلى الوليد فى دار الإمارة ، ويأمرهم أن ينتظروه خارج الدار ، فإن سمعوا حوارا غاضبا بينه وبين الأمير اقتحموا الدار ليكونوا بجانب الحسين إذا أريد به السوء .

لم يكد الوليد بن عتبة ينعى إلى الحسين نبأ وفاة معاوية داعيا إياه إلى بيعة يزيد ، حتى قال له الحسين : إن مثلى لا يبايع سرا ، فاجمع الناس ليبايعوا ، وأبايع على الملأ .

وعندما أصبح الصباح فى اليوم التالى ، وجاء الخبر بأن الحسين رحل إلى مكة ، ولامه مروان على نبذ مشورته . . يقول لمروان : أتشير على بقتل الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟! والله لا أكون الذى يحاسب بدم الحسين يوم القيامة .

رحل الحسين رضى الله عنه إلى مكة البلد الحرام الذى يلتمس فيه الناس الأمن والملاذ .

❊ ❊ ❊

الحسين رضى الله عنه يصطحب أهل بيته

واصطحب معـه أختاه السيـدة زينب والسيدة أم كلثـوم ، وإخوته أبو بكر ، والعباس ، وجعـفر ، وأولاد أخيه الحسن وجميع من كـان بالمدينة من أهل بيته ، عدا أخاه محمد ابن الحنفية الذى آثر البقاء بالمدينة .

ويفكر الحسين رضى الله عنه فى المحنة التى ألمت بالأمة وصيرورة الحكم فيها إلى ملك عضوض ولعله تذكر قول جـده ﷺ « إذا وسد الأمر لغير أهله ، فانتظر الساعـة » ويجيبـه ضميـره المقاومة ، الآن وأبدا . . حـتى يفوز الحق ، أو تهلك دونه. وقد كـان الحسين رضى الله عنه يعـارض صلح أخيه الحسن مع مـعاوية ، فيعلم أن آل أبـى سفيان لا عهـد لهم ولا أمان . وكانت للحسـين طبيعة جـياشة ثائرة، فلم يبايع يزيدًا .

❊ ❊ ❊

أهل الكوفة يدعون الحسين رضى الله عنه للقدوم عليهم

جاءت كتب أهل الكوفة تدعو حسينا إلى القدوم عليهم لمبايعته ، ولدفع العار الذى لحق بالأمة باستخلاف يزيد ، وقالوا له إن معك مائة ألف سيف يفدونك بأرواحهم .

ورأى الحسين رضى الله عنه أن يبعث إليهم مبعوثا فطنا أمينا يرى الموقف هناك على طبيعته ، ثم يوافيه بالأنباء .

واختار للمهمة ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وحمله إلى أهل الكوفة هذه الرسالة :

سلام الله عليكم . أما بعد ، فقد أتتنى تحيتكم ، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم ورغبتكم فى قدومى إليكم وإنى باعث إليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهلى : مسلم بن عقيل ، ليعلم لى كنه أمركم ، ويكتب إلى بما يتبين من جمعكم : فإن يك أمركم على ما جاءتنى به كتبكم وأخبرتنى رسلكم ، أسرعت القدوم إليكم إن شاء الله تعالى .

ومضى مسلم إلى الكوفة . . ولم يكد يستقر بها حتى سارع الناس إليه يبايعونه على السير تحت لواء الحسين مهما تكن التضحيات .

وسارع جواسيس يزيد إلى النعمان بن بشير والى الكوفة وحاكمها يطلعونه على ما يدور ويجرى . وكان النعمان رضى الله عنه صحابيا جليلا فرد جواسيس يزيد خائبين إذ قال لهم إنى لا أقاتل إلا من يقاتلنى . . ولا أثب إلا على من يثب

على ، ولا آخذ بالظنة أحدا . وأجابه أحدهم هذا رأى المستضعفين ، فزجره النعمان قائلا : لئن أكون من المستضعفين فى طاعة الله ، خير من أن أكون من الجبارين فى معصيته .

وانصرفوا من حضرة النعمان يائسين ، ليكتبوا إلى سيدهم يزيد ، يخبرونه أن مسلم بن عقيل استولى على أفئدة الناس ، وأن النعمان بن بشير لا يحرك ساكنا .

❋ ❋ ❋

يزيد يجتمع مع مستشاريه

وفى دمشق اجتمع يزيد مع مستشاريه ، وكان أبرزهم سرجون المجوسى . أشار سرجون بعزل النعمان بن بشير وتولية عبد الله بن زياد والى البصرة واليا على الكوفة أيضا ، وكانت مرجانة أم زياد جارية مجوسية أيضا وابن زياد هذا من أحط وأشقى خلق الله ، مولعا بسفك الدماء .

❋ ❋ ❋

رسالة الحسين رضى الله عنه إلى أهل البصرة

وفى نفس الوقت الذى أرسل فيه الحسين رسالة إلى أهل الكوفة أرسل رسالة إلى أهل البصرة مع مولاه سليمان الذى قدم بها إلى نفر من زعمائها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على إلى مالك بن مسمع ، والأحنف بن قيس ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، والمنذر بن الجارود .

سلام الله عليكم ، أما بعد :

فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق ، وإماتة البدعة والباطل ، فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد .

ولم يكد مبعوثه سليمان يصل إلى البصرة ، ويسلم رسالة الحسين إلى زعمائها ، حتى سارع أحدهم وهو المنذر بن الجارود إلى ابن زياد حيث أفشى له سرها وأطلعه عليها .

وألقى ابن زياد القبض على رسول الحسين ، وفى وحشية قام بقتله وصلبه ، ثم تهيأ للسفر إلى الكوفة ، ليباشر مهمته الآثمة هناك

❊ ❊ ❊

ابن زياد يجتمع بأهل البصرة

وقبل رحيله دعا أهل البصرة إلى اجتماع عام خطبهم فيه فقال : « يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين يزيد قد ولانى مع البصرة الكوفة وإنى سائر إليها . وقد خلفت عليكم أخى عثمان بن زياد . فإياكم والخلاف والإرجاف فوالله لئن بلغنى عن أحدكم أنه خالف أو أرجف ، فلأقتلنه ووليه ، ولآخذن الأدنى بالأقصى . . والبريء بالمذنب حتى تستقيموا ، أنا ابن زياد ، وقد أعذر من أنذر .

هكذا تحدث إلى الناس بالبصرة حديث طاغية .

❋ ❋ ❋

ابن زياد يقدم إلى الكوفة قدوم الجبناء

ابن زياد بكل طغيانه ، وقوته وإجرامه ، يخاف أن يدخل الكوفة سافرا منظورا ، فيدخلها متنكرا ، ومخفيا سحنته ووجهه وراء لثام وقناع .

ويظن أهل الكوفة الذين ينتظرون مقدم الحسين بشوق أنه موكب الحسين . فلم يكادوا يرون قافلة ابن زياد ، حتى حسبوها موكب الحسين فراحوا يفسحون له الطريق هاتفين « مرحبا بابن رسول الله . . قدمت خير مقدم »

ولئن كانت هذه الحفاوة بالحسين قد ملأت نفس ابن زياد مرارة وحقدا ، إلا أنها ألقت على قلبه المنخلع الجبان كثيرا من الأمن إذ اطمئن إلى أنهم لم يعرفوه ، وبالتالى لن يصلوا إليه بسوء ، وحين بلغ إلى دار الإمارة ، واحتمى بشرطها

وحرسها راح ينصب شباكه ليقتنص رسول الحسين مسلم بن عقيل الذى كان يمارس دعوته للحسين فى همة ونجاح .

وكان عزل النعمان بن بشير عن الكوفة وتولية ابن زياد مكانه نذيرا رهيبا لمسلم بن عقيل . . الذى راح يحيط نشاطه بالكتمان .

نزل مسلم عند هانئ بن عروة ، ودعا هانئ صديقه شريك بن الأعور أن ينزل عنده وكان شريك يكتم تشيعه لآل البيت .

ومرض شريك بن الأعور فخف ابن زياد لزيارته ، فاتفق شريك مع مسلم ابن عقيل أن يفاجئ ابن زياد أثناء الزيارة ويقتله ولكن مسلم لم يفعل ، وبعد أيام مات شريك متأثرا بمرضه .

وبث ابن زياد الجواسيس حتى عثر على مسلم بن عقيل فى دار هانئ واستدعى ابن زياد هانئ وواجهه بالجاسوس الذى عرف سره ورفض هانئ تسليم مسلم وجاء مسلم بأنصاره الذين بايعوا الحسين وكانوا ثمانية عشر ألفا فحاصر دار الإمارة ولم يبادر مسلم بقتل ابن زياد لأن الحسين لم يأمره بقتال .

❊ ❊ ❊

الحيلة

واحتال ابن زياد فكلف من ينادى على الثوار بأن جيش الشام فى طريقه للقدوم فانصرف البعض خائفين وانصرف الآخرون على أمل أن يتم تسوية الأمر

من خلال مفاوضات . وقتل ابن زياد هانئ بعد تعذيبه وتقطيع جسده ، أمر بمن يقتله فى السوق ثم قبضت شرطته على مسلم بن عقيل فقتلوه وألقوا برأسه إلى قارعة الطريق ثم ألقوا بالجسد خلف الرأس وقد كان مسلم قد أرسل إلى الحسين رضى الله عنه للقدوم إلى الكوفة .

❊ ❊ ❊

وصية مسلم بن عقيل

أوصى مسلم قبل قتله إلى عمر بن سعد أن يسدد ديونه من غلة وأن يخبر الحسين بعدم القدوم لأن أهل الكوفة لا عهد لهم .

وفى الصباح صلى ابن مرجانة العيد وأرسل برأس هانئ بن عروة ، ورأس مسلم بن عقيل إلى يزيد بالشام .

❊ ❊ ❊

مسير الحسين رضى الله عنه إلى الكوفة

فى الوقت الذى كان رأس مسلم وهانئ يقطعان الفيافى إلى الشام كان الحسين يقطع طريقه من مكة إلى الكوفة ، دون أن يعلم ما وقع بها من أهوال ، وكان

قبل خروجه قد صمد لمعارضـة شديدة من بعض أهله وأصحابه الذين خشوا عليه من عواقب الخروج

❋ ❋ ❋

نصيحة ابن عباس رضى الله عنه

أجرى عبد الله بن عباس حوارا طويلا مع الحسين رضى الله عنه يتوسل إليه خلاله كى يبقى حيث هو .

يقول له : يا ابن عم ، إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لى ما أنت صانع ؟

فيـجيبه الحـسين : إنى قد أجمـعت المسير فى أحـد يومى هذين إن شاء الله تعالى .

ويعود ابن عباس ليـقول : إن كانوا قد دعوك إليهم بعـد أن عزلوا أميرهم ، ونفوا عـهدهم ، ووطأوا أكتـاف بلادهم ، فسر إليـهم ، وإن لم يكونوا فعلوا ، فإنهم إذن يدعـونك لفتنة وقـتال . وإن أهل الكوفـة لا عهد لهـم ، وإنى أخشى عليك الهلاك . أقم بهذا البلد حيث أنت . . وإذا كنت لابد خارجًا ، فاذهب إلى اليمن ، فإن به حصونا وشعابا ، ولأبيك فيه شيعة .

ويزداد الحسـين تصميـما ويقول : يا ابن عم إنى لأعلم أنك ناصح مـشفق ولكنى قد عزمت على المسير .

فيقول ابن عباس : لولا أن يزرى الناس بى وبك لأمسكت برأسك فلا أدعك تذهب ، ولكن إذا كنت لابد سائرا ، فلا تسرْ بأولادك ونسائك فإنى أخشى أن تقتل وهم ينظرون إليك كما قتل عثمان .

وهذا عبد الله بن عمر لا يعلم بمسيرته إلا بعد خروجه فيمتطى ظهر راحلته ويقطع الطريق وراءه وثبا حتى يلحق به على بعد ثلاثة أيام من مكة ، ويسأله : أين تريد ؟ فيجيبه : الكوفة ، هذه كتب أهلها وبيعتهم ، وإنى ذاهب إليهم . فيقول ابن عمر : إنى محدثك حديثا : إن جبريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . . وإنك بضعة من رسول الله . . والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم . ولكن الحسين لا ينقص عزمه فيضمه ابن عمر ويقبله ويقول وهو يبكى : أستودعك الله من قتيل .

كذلك كان أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله قد حاول ثنيه عن عزمه قبل خروجه من مكة وجلس يقول : لقد سمعت أباك يقول وأنا معه بالكوفة ، والله لقد مللتهم وأبغضتهم ، فما لهم ثبات على أمر . . ولا صبر على السيف . . ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب .

ومع كل ذلك لم يلن الإمام الحسين ولم يهن عزمه . .

ومضى البطل إلى غايته . .

وأخذت النذر تلقاه على طول طريقه . . ففى أول الطريق لقيه الفرزدق الشاعر قادما من الكوفة ، وسأله الحسين : كيف تركت الناس ورائك ؟

فأجابه الفرزدق : تركتهم قلوبهم معك .. وسيوفهم مع بنى أمية .

لكن البطل لا يزيد على أن يتلو الآية الكريمة **﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾** ويمضى فى طريقه ..

وبعد أيام يلقاه عبد الله بن مطيع ، قادما هو الآخر من العراق ، فلا يكاد يرى الحسين حتى يتعلق بثيابه صارخا وراجيا أن يعود ، قائلا له : أناشدك الله ألا تذهب إلى الكوفة ، فوالله لئن أتيتها لتقتلن ، فما يزيد على أن يتلو الآية ويتابع السير .

وبعد مرحلة أخرى من الطريق يلقاه رجل من بنى أسد ، قادمًا من الكوفة أيضا ، فيسأله الإمام عن أخبارها . فيجيبه الرجل : لقد قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة .

أرسل بصره فى الأفق البعيد ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عند الله نحتسب أنفسنا ولا خير فى العيش بعد هؤلاء .

ثم سار الحسين رضى الله عنه حتى بلغ مكانا يقال له بطن الرقة ، فحط رحاله ، وضرب خيامه ليستريح ومن معه ، ثم كتب لأهل الكوفة كتابا يخبرهم أنه فى الطريق إليهم ، وأعطى الكتاب لواحد من أصحابه وهو قيس بن مسهر العبداوى وأمره أن يسبقه إلى الكوفة .

ومضى قيس لسبيله بيد أنه لم يكد يبلغ القادسية حتى لقيته قوات ابن زياد ، فاعتقلته وصحبته معها إلى الكوفة .

أمره ابن زياد أن يشرف على الناس من شرفة قصره ويلعن الحسين ويعلن

على الملأ أنه كذاب وابن كذاب .

وتظاهر قيس بالطاعة ، وصعد مع الحرس إلى حيث أراد ابن مرجانة ، ثم ألقى على الجموع التى جمعوها وحشدوها نظرة وابتسامة ثم صاح : أيها الناس إن الحسين بن على من خير خلق الله فأجيبوه وانصروه وإن الكذاب ابن الكذاب هو عبد الله بن زياد فالعنوه والعنوا أباه .

جن ابن مرجانة كالكلب المسعور وراح يلعن شياطينه لأنهم أمهلوه حيا حتى أكمل عباراته القاصمة .

ثم أمرهم أن يلقوا به حيا من أعلى سور القصر فاندقت عظامه رحمه الله .

لم يعلم الحسين بمصير قيس بعد ، واستأنف مسيره حتى انتهى إلى مكان يدعى زرود وهناك أبصر فسطاطا مضروبا ، فسأل عنه فعلم أنه زهير بن القين ، فأرسل الحسين فى طلبه ، فتثاقل أول الأمر ، ثم ذهب إلى لقائه ضجرا . وحين التقيا أسر الحسين إليه حديثا ، لم يكد الرجل يسمعه حتى تهلل وجهه وامتلأ غبطة وبشرا ، ثم سارع فنقل فسطاطه إلى جوار فسطاط الحسين وقال لمن كان معه من أهله : من أحب منكم أن يتبعنى وإلا فإنه آخر العهد بيننا . .

ثم التفت إلى زوجته وقال لها : أما أنت فالحقى بأهلك ، فإنى لا أحب أن يصيبك بى سوء .

ولعله حدثه عن قضيته العادلة .

وتابعت القافلة سيرها وينضم إليها رجال آخرون خلال عبورها عبر الطريق الطويل ، وبعد مسيرتهم من جديد أبصروا فارسًا يثير الغبار ويطوى الأرض لقد

كان رسول عمر بن سعد الذى أوصاه مسلم بن عقيل قبل مقتله بأن يرسل للحسين يخبره بما حدث وينصحه بالرجوع . وأصر الحسين رضى الله عنه على مواصلة السير ، غير أنه أعفى المتطوعين لنصرته من رجال القبائل ، ومضى فى صحبة أهله وخاصته .

* * *

ابن زياد يحاصر الكوفة

كان ابن زياد قد فرض حول الكوفة حصارا محكما ، فلا يخرج من أهلها أحد مخافة أن ينضموا لموكب الحسين ، ولم يأذن لأحد من أهلها بالخروج إلا إذا كان ذاهبا للحج ، شريطة ألا يكون معروفا بحب الحسين أو التشيع له .

وفى نفس الوقت ، أطلق من وراء مشارفها وحدودها البعيدة طلائعه وسراياه آمرا إياها أن تتربص بقافلة الإمام الحسين فإذا التقت بها إحداها احتجزتها حيث هى ، ثم أرسلت بالخبر لابن زياد .

وعند إحدى القرى الرابضة على حدود العراق ، التقى ركب الإمام بإحدى تلك الطلائع تحت إمرة الحر بن يزيد التميمى ، ولم يكد الحسين رضى الله عنه يراهم قادمين نحوه يتصببون عرقا من شدة الحر حتى أمر فتيانه أن يتقبلوهم بالماء، ثم أذن مؤذن لصلاة الظهر فقدموه للصلاة بهم . وأخبر الحر الحسين بأنه مكلف بانتظار ركبه ثم قيادته إلى ابن زياد بالكوفة . قال الحسين : الموت أدنى إليك مما

تريد ، ولما أصر الحر على اصطحاب الحسين صاح به إنها الحرب إذن ، فقال الحر ابن يزيد : إنى والله لا أريد قـتالك ولـم أومر به ، وإنى لأرجـو أن يرزقنى الله فيك العافية ولا أبتلى بشىء من أمرك ، ولقد أمرت إن أنا لقيتك ألا أفارقك حتى أخبر الأمـير ابن زياد ، فإن رأيت فاتخذ طريقـا لا تدخلك الكوفة ولا تردك عنها حتى يأتينا أمر الأمير .

ومضى ركب الحسين يضرب فى تلك الرقعـة من الأرض يتيامن مرة ويتياسر أخرى . وفرسان ابن زياد بقيادة الحر يذودون الركب من البادية كلما هم أن يدلف إليها ويدفعونه تجاه الكوفة فى رفق .

ولم يكد الركب يبلغ نينوى حتى وصل رسـول ابن زياد للحر بن يزيد يحمل إليه كـتابا يقول فيـه : أما بعد فـشدد على الحسيـن فى المكان الذى يوافيك عنده كتابى ، ولا تنزله إلا بالعراء فى غير حصن وعلى غير ماء . . وقد أمرت رسولى ألا يفارقك حتى يأتينى بإنفاذ أمرى ، والسلام .

ونزل الحسين رضى الله عنه وركبه للراحة وسأل عن اسم ذلك الوادى فأخبر أن اسمه كربلاء ، وكان الحـسين رضى الله عنه قد زار هذا المكان مع والده الإمام على رضى الله عنه واسم هذا الوادى من الكرب ، وكان التعب قد بلغ مبلغه من سيدات آل البيت الأطهار رضى الله عنهن .

❊ ❊ ❊

المأساة

كان اليوم غرة محرم العام الواحد والستين ، والمكان كربلاء على مقربة من نهر الفرات، وكان ابن زياد يعد العدة لقتال الحسين ، ويختار قواده ويشد المقاتلين بالترغيب والترهيب .

كان يقتل بعض المعارضين للانضمام إلى جيشه فيقطع رءوسهم ويلقيها أمام أهل الكوفة فيدب الرعب فى قلوبهم .

وكان لدى ابن زياد جيش مجهز قوامه أربعة آلاف فارس ، كان قد أعده تحت قيادة عمر بن سعد لمجابهة ثورة الديلم فى أرض همذان .

كما كان قد عين عمر بن سعد واليا على الرى ، فدعاه أن يخرج بجيشه إلى كربلاء .

واعتذر عمر بن سعد فرارا من أن تتلوث يده بجريمة نكراء لكن الطاغية هدده بحرمانه من الولاية التى كان يطمح إليها ، وأن يعزله من الجيش ، فضعفت مقاومته ، وكان مستشار ابن زياد رجل أثيم من المنافقين الخوارج اسمه شمر بن ذى الجون ، رجل خبيث يكيد للإسلام فأخذ يحرض ابن زياد وصاغ معه كتابا شديد اللهجة إلى عمر بن سعد الذى كان يريد أن يتفاهم مع الحسين ويجد له مخرجا ويرسل ابن زياد إلى عمر بن سعد :

امنع الحسين ، وأصحابه الماء وحل بينهم وبينه حتى لا يذوقوا منه حسوة ، كما فعلوا بالتقى عثمان بن عفان .

وكان ابن زياد كاذبا فى ادعاءه ، وقد كان أمر به الطاغية ابن زياد إذ رفض البيعة ليزيد ووقف يقاتل فى ثلاثة وسبعين من أنصاره أربعة آلاف من جيش ابن زياد الذى أمر عمر بن سعد بحز رأس الحسين وحملها إليه .

نفث شمر بن ذى الجون وهو رجل مدخول الإسلام ، انشقت عنه الأرض فجأة فى الأيام الأولى لفتنة الخوارج الذين ناصبوا الإمام عليا العداء ، فأدلى معهم بدلوه عاملا لحساب نفسه الخبيثة ، أو لحساب قوة خفية شريرة ومنذ تلك الأيام وهو يكيد للإسلام ، ويخرب صفوفه متخفيا وراء ذلك القناع المشبوه . . قناع انتماءه للخوارج وتشكيله مباداءهم إلى أغراضه المنكرة وأغراض القوى التى يعمل لحسابها .

نفث فى روع ابن زياد أن هذه فرصة عمره ، إذا استطاع أن يجهز على الحسين ويقدم رأسه هدية لسيده يزيد .

وافى عمر بن سعد كربلاء فى الثانى من المحرم فى جيشه المكون من أربعة آلاف فارس ، وقد عسكر هناك على مقربة من معسكر الإمام الحسين .

واختار عمر بن سعد أحد رجاله واسمه قرة بن سفيان الحنظلى ، وأمره أن يذهب إلى الحسين رضى الله عنه فيسأله لماذا جاء ؟

وأجابه الحسين :

أن أهل هذا المصر - يعنى الكوفة - كتبوا إلى يذكرون أنهم لا إمام لهم ، ويسألوننى القدوم عليهم ، فجئت إليهم ، وفى الطريق علمت نكولهم ، فأردت الرجوع فمنعنى الحر بن يزيد ، وسار بى إلى هذا المكان . وفرح عمر بن سعد

بهذه الإجابة التى شرحت صدره إذ رأى فيها بادرة لإمكان الوصول إلى حل سلمى يجنبه خوض قتال يطوق عنقه بأوزار ثقيلة .

فبادر بالكتابة إلى طاغية الكوفة ، الذى أجابه بكتاب يقول فيه : قد بلغنى كتابك ، فاعرض على الحسين البيعة ليزيد ، فإذا بايع ومن معه فأخبرنى وسيأتيك رأيى .

وعرض ابن سعد كتاب الطاغية على الإمام الحسين فكان جوابه : لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبدا ، وإن يكن الموت فمرحبا به .

ويرسل عمر إلى أميره برد الحسين فيكتب ابن زياد إليه : امنع الحسين وأصحابه الماء ، وحل بينهم وبينه حتى لا يذوقوا منه حسوة كما فعلوا بالتقى عثمان بن عفان ولقد كذب ابن زياد فى هذا الادعاء ؛ لأن الإمام كان فى فتنة مقتل عثمان رضى الله عنه يحمل قربة الماء على كاهله ويخوض بها بين الثوار مقتحما صفوفهم ، متحديا حصارهم ، يذودهم ويذودونه ، ويدفعهم ويدفعونه ، حتى سقطت عمامته من فوق رأسه وحتى أنفذ الماء إلى الخليفة الظمآن .

وأما الحسين وأخوه الحسن فقد كانا هناك بأمر أبيهما ، يحرسان الخليفة ويذودان عنه عوادى الثوار ، ولقد جرحا وسال منهما الدم . .

ورغم ما بذلاه من طاقة وجهد ، فإنهما لم ينجوا بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه من لوم أبيهما الشديد ، بل ولطمهما بيديه ، وهو يصرح فيهما لماذا لم تموتا دونه ؟

والآن يزعم هذا المدعى الكذاب ابن زياد أنه يثأر لعثمان ، ليبرر وحشيته بحرمانه أبناء الرسول ﷺ فى تلك الأرض القائظة من شربة ماء .

وعاد الحوار بين الإمام الحسين وعمر بن سعد فاستمسك الحسين بموقفه فى رفض مبايعة يزيد .

يقول عقبة بن سمعان وهو أحد اثنين من أصحاب الحسين خلصا من المعركة : صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق وسمعت جميع أحاديثه حتى يوم مقتله فوالله ما زاد على أن قال لهم :

دعونى أرجع إلى البلد الذى أقبلت منه ، أو دعونى أذهب فى هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس . . فلم يفعلوا .

وضاق صدر ابن زياد بصمود البطل ففزع إلى مستشاره شمر بن ذى الجون ، فأشار عليه أن يقسو على عمر بن سعد فى خطابه ، ويأمره أن يجىء بالحسين ومن معه إلى الكوفة عنده ، فإن أبوا ، قاتلهم حتى الموت .

ويلمح شمر الخبيث فى ذلك الحوار الدائر بين الحسين وعمر بن سعد بادرة قد تفضى إلى مهادنة أو تفاهم .

وهو الذى يعمل على التخريب ، هداه تفكيره الخبيث إلى أن ينتقل بنفسه إلى أرض المعركة ليتولى إضرام النار وليصل بالمعركة إلى الغرض الذى يريد .

وهكذا اقترح على ابن زياد أن يحمل كتابه بنفسه إلى قائد جيشه عمر بن سعد ويبقى هناك عينًا لابن زياد ورقيبًا ، ومقاتلاً .

واشترك مع أميره الطاغية فى صياغة كتابه إلى ابن سعد ثم هرول به إلى كربلاء .

« من عبد الله بن زياد أمير الكوفة والبصرة إلى عمر بن سعد .

أما بعد : فإنى لم أرسلك إلى الحسين لتكف عنه ، ولا لتكون له عندى شفيعا ، ادع الحسين إلى ما أمرتك ، فإن نزل وأصحابه على الحكم مستسلمين ، فائت بهم إلى وإن أبوا فارجف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، وبعد أن يقتل الحسين أوطئ الخيل صدره وظهره فإن مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع .. وإن أبيت فاعتزل جندنا .. وخل بين شمر بن ذى الجون والعسكر والسلام .

ولم يكد عمر بن سعد يتلو كتاب أميره حتى أدرك ما وراءه من كيد شمر ، فقال له : لقد أفسدت علينا أمرًا كنا نرجو صلاحه .. والله لن يستسلم الحسين أبدًا . فأجابه شمر : امض لأمر أميرك وقاتل ، أو فخل بيننا وبين الجند .

ومرة أخرى غلب ابن سعد على دينه واستسلم لأطماعه وهواه فرضى أن يبقى قائدا لحملة رجيمة وجيش ظلوم .

وضحت النوايا إذن أمام الحسين : إنهم يريدون إذلاله أو يريدون حياته ، وهو لا يقبل المذلة ولو قتل ، وأما الحياة فهو يجود بها فى سبيل الحق وليس أول من فعل ذلك من آل البيت ولا آخر من فعل ذلك منهم كما قال مرحبا بالموت .

وأعداؤه برغم تفوقهم العددى الساحق ، لم يكتفوا بذلك وإنما منعوا الماء عنه وعن أصحابه فى خسة ونذالة ، وهم يرون من وراءه فى الخيام سيدات ، وأطفال ، ومرضى .

لقد حاصروا الطريق إلى تريعة الماء بخمسمائة فارس ، وجفت القرب التى كان أخوه العباس بن على قد ملأها من قبل عنوة .

فأصبح الأطفال والنسوة يترنحون تحت وطأة الظمأ القاتل ، وقد ظهرت حكمة عبد الله بن عباس فى نصيحته للإمام الحسين ألا يصطحب معه الحرائر والأبناء من آل البيت ، كان باستطاعته أن يبايع مكرها ثم ينقض البيعة عند عودته إلى مكة ولكنه لم يفعل ولم يهادن ولم يخدع .

❊ ❊ ❊

التاسع من المحرم

أهل يوم التاسع من المحرم ، وقد ولى نهاره ودلف ليل جديد ، وقد أخذ جيش ابن زياد يتحرك للوثوب ، ورأى الحسين تحركاتهم ، فطلب من عمر بن سعد إرجاء القتال ليجعل أهله وأصحابه فى حل من كل التزاماتهم تجاهه ، وهكذا جمعهم فى الليل ، وقال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أما بعد ، فإنى لا أعرف أصحابا خيرا من أصحابى . . ولا أهل بيت أوصل من أهل بيتى . . فجزاكم الله خيرا ، فقد بررتم وأعنتم ، وإنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى وإن يومى منهم غدا ، وإنى قد أذنت لكم جميعا ، فانطلقوا فى غير حرج ، ليس عليكم ذمام ، هذا هو الليل قد غشيكم ، فانطلقوا فى سواده قبل أن يطلع النهار ، وانجوا بأنفسكم » .

لم يقلها استدرارا لعطفهم ولكنه كان يعنى كل كلمة قالها .

ترى هل يقبل أنصاره ذلك أن يفروا من أرض المعركة ويتركوه وحيدا يلاقى الموت وحده من عصابة الجبناء .

صاح أخوه لأبيه العباس بن على : « معاذ الله والشهر الحرام .. وماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم ؟ نقول تركنا سيدنا وابن سيدنا غرضا للنبال ، ووبئة للرماح ، وحرزا للسباع ، وفررنا عنه رغبة فى الحياة ؟ معاذ الله معاذ الله ، بل نحيا بحياتك ونموت معك » . وصاح بمثل ذلك بنو عقيل وبنو جعفر .

وتقدم ابنه على ، فتى لم يجاوز سنه التاسعة عشرة ، وسأل أباه : ألسنا على الحق يا أبتاه ؟ قال الحسين : بلى والذى أنفسنا بيده .

فصاح فتاه البطل إذن والله لا نبلى .

وقام زهير بن القين ينادى : « والله لوددت أن أقتل ثم أبعث .. ثم أقتل ثم أبعث ، هكذا ألف مرة أكون فيها ردءا عن حياتك وحياة هؤلاء الفتيان من آل بيتك» .

وتلاه مسلم بن عوسجة الأسدى : أنحن نتخلى عنك أولم نعذر إلى الله فى أداء حقك ؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى ، وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ، ولو لم يكن لى سلاح ، لقذفتهم بالحجارة ، دونك حتى أموت معك .

هبوا جميعا يعطون أحمد بيعة فى تاريخ التضحية والفداء ، بيعة على موت محقق ، لقد ارتفع الأبطال جميعا إلى مستوى الموقف المجيد الذى سيجعلون

منه درسا لأجيال الدنيا كلها فى الولاء الباهر للحق ، وفى التضحية من أجله ، وها هم أولاء يعودون لمضاربهم وخيامهم ، يتهيأون للقاء الغد بالصلاة والابتهال، وبشحذ سيوفهم وبرى سهامهم وصقل رماحهم .

وقضى نافع بن هلال البجلى رضى الله عنه شطر ليله فى كتابة اسمه على سهام نبله .

***

العاشر من المحرم

وطلعت الشمس ووقف الحسين يعبئ رجاله ، فجعل زهير بن القين على الميمنة . . وحبيب بن مظهر على الميسرة ، وأعطى الراية أخاه العباس بن على ، وتقدم شباب آل البيت ليأخذوا مكانهم فى الصف الأول فدفعهم عنه أنصار الحسين قائلين معاذ الله أن تموتوا ونحن أحياء نشهد مصارعكم ، بل نحن أولاء ثم تجيئون على الأثر .

وفى الجانب الآخر وقف عمر بن سعد يعبئ جيشه وينظم ميمنته وميسرته.

ألا يخجلون . . أربعة آلاف فى مواجهة نيف وسبعين ! وفى سبيل ابن زياد ويزيد بن معاوية ، وبعد أن صلوا الصبح ، كيف يقتلون آل بيت نبيهم وهم يقرؤون فى الصلاة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، ويقرؤون قوله تعالى ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ إذن ما بالهم ينفلتون من صلاتهم ليحصدوا الأئمة من آل البيت بسيوفهم ؟

ووقف نافع بن هلال البجلى وهو يقول لابن ذى الجوى الشقى التعس : والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذى جعل منايانا على أيدى شرار خلقه .

* * *

الحر بن يزيد ينحاز للحسين

قبل أن يبدأ القتال قام الحر بن يزيد التميمى قائد الطليعة التى كان ابن زياد قد أرسلها من الكوفة لمقابلة الحسين وحجزه فى كربلاء ، لم يكد يرى القتال على وشك البدء حتى أحس بفداحة الجريمة المقدم عليها ، وبشاعة الوزر الذى سيحمله ، وظلام المصير الذى سيكون له عند الله ، فخرج بجواده من صفوف فرسانه ، واقترب من قائد الجيش عمر بن سعد ، وصاح به : أمقاتل أنت ذلك الرجل ؟

قال ابن سعد : نعم والله ، قتالا أيسره أن تبتر الأيدى وتطوح الرؤوس ، قال الحر : أولستم تاركيه يرجع إلى حيث أتى ، أو يضرب كما قال فى الأرض العريضة ؟

قال ابن سعد : لو كان الأمر بيدى لفعلت . . ولكن ابن زياد يأبى ذلك ، فصاح الحر وهو يدفع جواده نحو صفوف الحسين : إذن فقاتلنى معه ، ونزل من فوق جواده ، يعانق الحسين ودموعه تنفجر من مآقيه ، ويقول له : قد كان

بالأمس ما كان ، وقد استبان لى حقك فجئتك أفتديك بنفسى أفترى فى ذلك توبة لى مما صنعت ؟ فأجابه الحسين وهو يضمه إلى صدره إنها خير توبة فأبشر ، فأنت الحر فى الدنيا وأنت الحر فى الآخرة إن شاء الله .

***

يزيد الكندى ينحاز إلى الحسين

وكما صنع الحر بن يزيد صنع بطلا آخر هو يزيد الكندى . . غادر مكانه فى جيش ابن زياد ، وبصق عليه ثم انطلق يعدو بجواده إلى جبهة الحسين .

***

بدء القتال

وانطلق سهم قذفه عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد معلنا بدء القتال ، وتلاه على الأثر ، بروز صف من رجال ابن سعد يطلبون المبارزة ، فخرج إليهم الأبطال من صفوف الحسين ، وها هو عبد الله بن عمر الكلبى ، من الكوفة لم يكد يعلم باحتجاز الحسين عند كربلاء حتى اصطحب زوجته معه وشد إليه الرحال . وها هو ذا ، يخرج إلى مبارزه فيصرعه من فوره ، وكان استهلالا باهرا ،أطار صواب

الآخرين ، فهجم عليه الشياطين من أعوان ابن زياد حيث ضربه أحدهم بسيفه ، فطارت أصابع كفه فى الهواء ، لكنه انثنى على ضاربه فصرعه فى الحال ، وتكالب عليه آخرون ، تنكروا لشرف المبارزة وقواعدها ، لا سيما حين رأوا أن جميع مبارزيهم صرعوا بأيدى جنود الحسين ، ولم يتركوا الرجل إلا عندما أبصروا فريقا من أصحابه يقتربون منهم بسيوفهم المشرعة .. عندئذ ولوا عنه وهو مثخن بجراحه .

واشرأبت زوجته من بعيد ، فبصرت به ، وانطلقت تهرول إليه حاملة بيمناها حربة طويلة ، حتى إذا بلغته راحت تحتضنه بين ذراعيها لينهض قائما وهى تقول له : فداك أبى وأمى ، قاتل دون الطيبين من ذرية محمد لكنه يصيح بها ، ويضرع إليها كى تعود إلى خبائها .

فإذا هى تصيح : لا لن أعود .. ولن أدعك تذهب إلى الفردوس وحدك ، لكنه يزحف بجسده المثخن ، ويدفعها أمامه نحو الخيام ، فتستعصى عليه وتستميت دون الرجوع .

ويلمح الحسين المشهد من بعيد فيناديها : « جوزيتم عن أهل البيت خيرا ، ارجعى يرحمك الله ، فليس عليكم قتال » .

حينئذ تمتثل وتطيع أمر ابن بنت رسول الله ﷺ ، ويستأنف عبد الله بن عمر الكلبى زحفه فوق أرض المعركة ضاربا بسيفه ذات اليمين وذات اليسار حتى فاضت روحه الطاهرة .

ومرة أخرى تندفع زوجته إلى أرض القتال ، وراحت تبحث بين جثث

الشهداء ، حتى وجدته ، فجلست بجواره تضمه وتقبل جراحه وهى تصيح :

هنيئا لك الجنة ثم ربضت إلى جواره ، ويدها على مقبض سيفه ، لتحرس جسمانه من الوحوش الذين كانوا يعودون إلى الشهداء ليحتزوا رؤوسهم ، لكن الشقى الأثيم شمر بن ذى الجون أبصرها فأمر واحدا من شياطينه ، فعاجلها من الخلف فهشم رأسها .

❋ ❋ ❋

اشتداد المعركة

التحمت الجبهتان التحاما رهيبا . . ورأى جنود ابن زياد كثرة القتلى الذين يسقطون منهم رغم كثرتهم الهائلة فجن جنونهم وهجم فرسانهم فى عنف وضراوة وبرز لهم فرسان الحسين الذين لم يكونوا أكثر من اثنين وثلاثين فارسا ، فدمروا هجومهم تدميرا ، وجاوزوا الدفاع إلى الهجوم فى سرعة خاطفة ، وأحاطوا فرسان ابن زياد ، ثم مرقوا داخل صفوفهم يطرحون رؤوسهم ، ويقطعونها عن أجسادهم .

ونادى عروة بن قيس عمر بن سعد من فوق صهوة جواده ليدركه بالرماة ، وأمر ابن سعد جيشه فتقدم بأجمعه يتقدمه خمسمائة من الرماة وكبر الحسين تكبيرة هزت الأرض ونادت زلزالها ، وانطلق يضرب بسيفه ، كان يشد كالليث على غريم فيصرعه ثم يبصر آخرا فى طريقه بسيفه إلى بعض أصحابه ، فينثنى إليه

ويرديه .

واشتعل الحماس فى أصحاب الحسين ، وراحوا يضربون ويقاتلون ، فى استبسال عظيم . كانوا كلما قل عددهم بوقوع الشهداء منهم ، ازدادوا إقداما وقوة، كانوا يتعجلون الجنة ، وركز رماة الأعداء ضرباتهم على الجياد التى يمتطيها فرسان الحسين فعقروها جميعا وهبط الفرسان إلى الأرض ليقاتلوا مع إخوانهم ، كان كل بطل من أصحاب الحسين يتكاثر عليه عشرات من أصحاب ابن زياد ، وقام الجبناء من أصحاب الشقى ابن زياد بحرق المضارب والخيام التى كانت لأهل الحسين وأنصاره ، واشتعلت الحرائق عالية .

فنادى الحسين رضى الله عنه فى ثبات عجيب : لا بأس . . اجعلوا الحريق وراء ظهوركم فلا يستطيعوا اجتياز النار إليكم ، ونجا فسطاط الحسين من الحريق ووقف البطل يقلب وجهه فى السماء ، لقد جاء ميقات الظهر ، فنادى الحسين لصلاة الظهر ، صلاة ضرب وقتال ، حتى والموت ينوشه وينوش أصحابه من كل جانب ، لا يغفل عن واجبه نحو ربه ، ولا عن فرائض دينه .

ويفرغون من صلاتهم ليواصلوا جهادهم ، كيف صمد بضع وسبعون طيلة هذا الوقت لأربعة آلاف ؟ لقد أحاط الباقون من أصحاب الحسين به يقاتلون من حوله ويذودون عنه ، وكل أمانيهم أن تواتيهم مناياهم وهم بين يديه ، أو عند قدميه .

❋ ❋ ❋

حنظلة ينادى

هذا حنظلة بن سعد البشامى ينادى أعداء الحق:

إنى أخاف عليكم يوم التناد .. فإياكم وقتل الحسين ، فقد خاب من افترى، ثم يثبت بين يديه كأنه جبل لا تزخره عن مكانه عشرات السيوف والرماح التى اتخذته هدفا ، ويظل يقاتل حتى يخر شهيدا .

❊ ❊ ❊

موعدنا الجنة

وهذا سيف بن الحارس وأخوه مالك يقتربان من الحسين ويعانقانه ثم يقولان له : موعدنا الجنة ويقاتلان معه ومن حوله حتى تدركهما الشهادة ، وهذا عبد الله ابن عروة وأخوه عبد الرحمن ، يخوضان فى صفوف الأعداء ويصليانهم سعيرا ، ويثقل جسديهما بالطعن والضرب فيقعان على الأرض خائرة قواهما ، ثم لا تكاد أعينهما المجهدة تقع على البطل يقاتل وحده عشرات من الأعداء القساة حتى تتجدد قواهما وينهضان بين يديه فى قتال مرير حتى يخران شهيدين .

وهذا شوذب وعباس بن شبيب ونافع بن هلال البجلى وسويد بن أبى المطاع، وعشرات من إخوانهم ، راحوا يقاتلون فى جسارة ، كلما سقط أحدهم جريحا نهض فوق جراحه وسبح فوق دماءه حتى يعود فيقاتل فى عزم وثبات حتى لحقوا جميعا بإخوانهم الذين سبقوهم أول النهار : زهير بن القين ، وعبد الله بن

عمير الكلبى ، والحر بن يزيد ، ويزيد الكندى . وتقدم آل بيت الحسين ، وكان أولهم انطلاقا على بن الحسين ، فتى لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره ، يتوسط حراب الأعداء وهو ينشد :

أنا على بن الحسين بن على

نحن ورب البيت أولى بالنبى

تالله لا يحكم فينا ابن الدعى

كما كان يصنع من قبله جده الإمام على حينما كان يقتحم المعارك وهو يزأر:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة

كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهموا بالصاع كيل السندرة

❊ ❊ ❊

ذرية بعضها من بعض

ويمضى يضرب ويضرب . . حتى تصيبه طعنة رمح ، فيقع على الأرض وقبل أن يتحامل على جراحه لينهض من جديد كانت عشرات السيوف الباغية قد مزقت جسده الشريف .

ويراه الحسين فيسرع نحوه ومعه شباب بنى هاشم . وفى رباطة جأش تذهل كل حى ، حمل البطل ابنه الحبيب ، ثم سجاه على ذراعى واحد من بنى عمومته، وأمره أن يذهب إلى فسطاطه .

ولا تكاد الطاهرة زينب بنت على رضى الله عنها وأرضاها ، لا تكاد تبصر

جثمان ابن أخيها حتى انكبت على الأشلاء الطاهرة تبكيها فى لوعة وشجن .

وأثر في البطل مشهد أخته ، فسار إليها يسألها الصبر ويقودها فى رفقة إلى خيامها وعاد هو إلى ساحة القتال . .

لقد استفتح آل البيت بقتالهم العظيم على بن الحسين ومن بعده تقدموا جميعًا كالليوث الكواسر .

ها هم أولاء إخوته لأبيه :

عبد الله بن على بن أبى طالب . . وجعفر . . وعثمان . . ومحمد الأصغر . . وأبو بكر . . والعباس . . يقذفون بأنفسهم وسط الهول ، وآخرهم العباس يهتف فيهم قائلاً :

تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله ﷺ .

فيتقدمون إلى قلب الجيش المسعور وكلما لمحوا خطرًا يقترب من أخيهم الحسين تلقوه بأجسادهم حتى سقطوا جميعًا صرعى ، وعلى ثراها تمددت أجسادهم الطاهرة يسبقها جثمان العباس بن على قمر قريش .

وتقدم أبناء الحسين وأبناء الحسن : أبو بكر بن الحسين ، وعبد الله بن الحسين والقاسم بن الحسن . .

كما تقدم أبناء جعفر بن على بن أبى طالب : عون . . ومحمد . . وعبد الله .

وأبناء عقيل بن أبى طالب : عبد الله الأكبر . . وعبد الله الأصغر . . وجعفر .

وأبناء مسلم بن عقيل ، الذى قتله ابن زياد بالكوفة :محمد . . وعبد الله .

كما تقدم محمد بن أبى سعيد بن عقيل ، واندفع أصغرهم سنا القاسم بن الحسن يهز سيفه فى الهواء الساخن ، ثم يهوى به فى الهواء فوق الأعناق الضالة

الظالمة حتى نالته سيوفهم فهوى كالنجم ، ينادى يا عماه ، ونسى الحسين ما حوله من هول ، وانطلق صوب قاتل ابن أخيه ، حيث شد عليه شدة الليث وضربه بسيفه ، فبتر يده الشقية ثم طرحه أرضا ، حيث داسته خيل ابن زياد فهلك تحت حوافرها .

وانثنى البطل نحو ابن أخيه يضمه ويشمه ، ويتملى فى جسده المثخن بالجراح ولأول مرة سالت عبراته وقال يخاطب جسمانه : عزيز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك . . أو يجيبك فلا ينفعك فى يوم كثر واتره وقل ناصره .

ثم حمله بين ذراعيه إلى حيث أرقده بجوار ابنه على ، ثم عاد للقتال من جديد ، راح الأبرار يسقطون فى الحومة أبطالا . .

والحسين يصول هنا ويقاتل هناك . . ودمه الزكى يتفجر من فمه الذى اخترقه سهم وهو يحاول أن يأخذ جرعة ماء ووقف وحيدا أمام أعداءه ، وأحاط به القتلة الذين سمروا فى أماكنهم زائغة أبصارهم ، واجفة قلوبهم لقد كانوا على كثرة ما اقترفوا من جرائم وسفكوا من دم يهولهم دم الحسين فيتفادى كل منهم وزر الإجهاز على حياته ، وهنا انبعث أشقاها ـ شمر بن ذى الجون ـ فصرخ فيهم ليختطفوا رأس البطل فاقتربوا منه لكنه رغم جراحه ووحدته ينقض عليهم بسيفه .

ويخرج من الفسطاط غلام صغير هو عبد الله بن الحسن فيلمح قاتلا يوجه سيفه نحو عمه فيصيح فى براءة الأطفال : يا ابن الخبيثة أتقتل عمى ! فيناله ابن الخبيثة بسيفه الجبان ، فيسقط على الأرض دون أن تصيب الضربة منه مقتلا ،

ويسارع إليه عمه فيحمله إلى مكانه مع عمته السيدة زينب التى جلست تستقبل الضحايا وتبصر المصاير فى تفويض لله ، ورضا بقضائه .

❊ ❊ ❊

مقتل الحسين رضى الله عنه

ويواجه البطل أعدائه فى جولة أخيرة فتقع ضربة سيف على رأسه الشريف فتدميه ، فيشده بعصابة ، ويحمل سيفه والدم ينزف من كل جسمه ، والمجرمون يضربون . . ويضربون . . بيد أنهم لا يزالون يرهبون دمه ويتجنبون قتله ، ومرة أخرى تخرج السيدة زينب من خدرها فترى أخاها وحيدا بين الوحوش ، فتتقدم إلى حيث يسمعها عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد ، وتصيح به :

يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟؟ فيطرق ابن سعد خزيا وندامة ويصرف وجهه عنها وقد تفجرت عيناه بالدموع، لكنه لا يستطيع أن ينسلخ من الموقف الذى ورطه فيه هواه .

ويضرع البطل إلى أخته كى تعود إلى مكانها ثم يصيح فى القتلة : أعلى قتلى تجتمعون ؟ إنى لأرجو الله أن يكرمنى بهوانكم ، ثم ينتقم لى من حيث لا تشعرون .

ويطير صواب شمر بن ذى الجون ، فينادى فرسانه من جديد ، ويأمرهم أن يقفوا من وراء مشاته ورماته ليمنعوهم عن النكوص إلى الوراء ، ثم يصرخ فى

الرماة متوعدا إياهم بشر مصير ، عندما يرجعون لابن زياد ويهتاج كالمسعور طالبا رأس الحسين .

ويتقدم من الحسين واحد فيضربه بسيفه الأثيم على معصم يسراه ، فتطير كفه ثم يتقدم ثان فيضربه بسيفه الظلوم على عاتقه ، فيقع على الأرض ، ويحسبون أنه انتهى ، فينصرفون عنه ، لكنهم يفاجأون به ينهض من جديد متوكئا على سيفه فيسارع إليه آخرون موجهين إليه الضربة الأخيرة .

ويتقدم الشقى الأثيم شمر فيحتز الرأس الشريف ، ثم يحتفظ به ليحمله هدية إلى ابن زياد ويزيد . كان النهار قد لفظ أنفاسه ، ومالت الشمس للغروب ، مخلفة وراءها شفقا فى حمرته .

❊ ❊ ❊

الانتقام والثأر

لقى الذين اشتركوا فى قتل الحسين وقتاله لقوا حتفهم على أبشع الصور وأشدها مذلة وهوانا . . كلهم من ابن زياد إلى شمر بن ذى الجوسن لعنه الله ، إلى آخر واحد من الذين تحمسوا للباطل ، ووقفوا من ابن بنت الرسول موقف التحدى والعدوان .

تتبع التاريخ مصارعهم ، فإذا هم جميعا يقتلون فارين هاربين ، ليس فيهم من مات ميتة رجل ، وكانت هذه دعوة الحسين عليهم حين صاح فيهم وهو صامد

وحده وسط سيوفهم ورماحهم قائلا : إنى لأرجو الله أن يكرمنى بهوانكم . كلهم قتلوا وديست جيفهم بالأقدام . . ما عدا يزيد ، عاش أربع سنوات مفزعا ثم مات فى يأس وهوان .

ويقف الصحابى الجليل زيد بن أرقم رغم كهولته ووهن جسمه ، يصرخ فى أهل الكوفة : يا معشر العرب الذين صرتم عبيدا ! أتقتلون ابن فاطمة وتؤمرون ابن مرجانة ؟ ويقف عبد الله بن حنيف الأزدى لا يمنعه ذهاب بصره وضعف شيخوخته فيصيح بابن زياد أمام الملأ من الناس : يا ابن مرجانة . . أتقتل أبناء النبى ، ثم تقوم على المنبر مقام الصديقين ألا إن الكذاب هو أنت وأبوك ، والذى ولاك .

وتنهض فى الكوفة كتائب التوابين مقسمة أن تهب حياتها لثأر الحسين وتشتعل الثورة عارمة فى مكة ، وفى المدينة حيث يجرد لها يزيد من جنده وقواده من ينزلون بالحرمين المقدسين من الدمار والإفك ما يخجل الشيطان من اقترافه ، ويموت يزيد ، ويقوم معاوية الثانى ابنه فيجمع الناس ليوم مشهود ، ثم يعلن فيهم أن جده وأباه اغتصبا الحق من أهله ، وأنه يبرأ إلى الله مما جنت أيديهما . . وأنه يربأ بنفسه عن أن يجلس على العرش الملوث بالجريمة .

ثم يعلن عليهم اعتزال منصبه . . ويعتكف فى بيته حتى يأتيه الموت . كانت بيعة يزيد دعما لسلطان الجاهلية على حساب الدين . . ودعما لسلطان القبيلة على حساب الأمة . . وهكذا صارت مقاومتها دعما لسلطان الدين والأمة معا .

السيدة زينب رضى الله عنها في مواجهة الطاغية

وكانت السيدة زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنها فى المعركة تمرض الجرحى .

عن على زين العابدين رضى الله عنه قال : إنى لجالس تلك العشية التى قتل أبى صبيحتها ، وعمتى زينب تمرضنى إذ اعتزل أبى فى خباءه(١) ومعه أصحابه وعنده حوى مولى أبى ذر الغفارى ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبى يقول :

يا دهر أنى لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب أو قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حى سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثة حتى حفظتها وفهمت ما أراد ، فخنقتنى العبرة فرددتها ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء قد نزل ، وأما عمتى فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت : وا ثكلاه ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم ، ماتت أمى فاطمة ، وعلى أبى ، وحسن أخى ، يا خليفة الماضى وثمال الباقى ، فنظر إليها وقال : يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان ، فقالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله ، أستقتلن ؟ ولطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها ، فقام فصب

(١) الخباء : يكون من وبر ، أو صوف ، ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة .

عليها الماء . وقال يا أخية : اتق الله واصبرى وتعزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شىء هالك إلا وجه الله الذى خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزته ، ويعيدهم فيعبدونه وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمى أن أبى خير منى ، وأمى خير منى ، وأخى خير منى، ولى ولهم ولكل مؤمن برسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ثم خرج عليها فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها فى بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصًا إليهم إلا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومن ورائهم وبات الحسين وأصحابه طوال ليلهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون وطبول جيش عدوهم تدور من وراءهم ، عليها عزرة بن قيس الأحمسى والحسين يقرأ : ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾ [آل عمران : ١٧٨-١٧٩] الآية ، فسمعها رجل من تلك الخيل التى كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن ورب الكعبة الطيبون ، ميزنا الله منكم . قال : فعرفته فقلت لزيد بن حضير : أتدرى من هذا ؟ قال : لا . فقلت : هذا أبو حرب السبيعى عبيد الله بن شمر - وكان مضحاكا بطالا - وكان شريفا فاتكا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه فى خباءه ، فقال له يزيد بن حضير : يا فاسق متى كنت من الطيبين ؟ فقال : من أنت ويلك ؟ قال : أنا يزيد بن حضير . قال : إنا لله ! هلكت والله عدو الله ! على من يريد قتلك ؟ قال : فقلت له : يا أبا حرب هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله إنا لنحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم ، وأنا على

ذلك من الشاهدين ، قال ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟ قال : فانتهره عزرة بن قيس أمير السرية التى تحرسنا فانصرف عنا .

قالوا : فلما صلى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة ، وقيل يوم السبت ـ وكان يوم عاشوراء ـ انتصب للقتال وصلى الحسين أيضا بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا ، ثم انصرف فصفهم فجعل على ميمنته زهير ابن القين وعلى الميسرة حبيب بن المطهر ، وأعطى رايته العباس بن على أخاه . . إلى آخر ما رواه أبو مخنف ، قال حدثنى الحارث بن كعب وأبو الضحاك ، عن على بن الحسين رضى الله عنه .

توقع ابن زياد قبل أن يواجه أهل البيت أنه سيلقى انكسارا وضياعا يستدران العطف ، لكن أخت الحسين زينب علمته أن الهزيمة التى يتفجع الناس لها هى هزيمة الروح ، وما كان لدعاة الحق أن تنهزم أرواحهم أبدا ، ولا أن تنحنى جباههم أبدا ، ولقد لقنته درسا حين دخلت عليه ومعها أهل بيت أخيها الشهيد، قال : من هذه ؟ فلم تجبه ، ثم كرر سؤاله وهى لا تجيبه ، حتى أجابته إحدى خادماتها قائلة : هذه زينب ، ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال ابن زياد ، مداريًا خزيه الذى أنزل به احتقار السيدة فاطمة إياه . قال الشقى التعس : الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم . فردت السيدة زينب بصوت عال : بل الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس تطهيرا . وإنما يفضح الله الفاسق ، ويكذب الفاجر وهو غيرنا يا ابن زياد . واستمر ابن زياد فى مداراة خزيه ، أمام الناس ، فعاد يسأل البطلة : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك . . ؟ فأجابته فى عزة الإيمان: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينهم وبينك ،

فتختصمون عنده يوم القيامة ، ورأى الجبان أنه أمام بطلة صعبة المراس ، فراح يجيل بصره فى بقية آل البيت حتى وقع على غلام مريض ظن ابن زياد أنه فرصة ليدير معه حديثه الوقح محاولا إظهار صلفه وغروره ، كان هذه الغلام على بن الحسين الأصغر الذى صار فيما بعد إماما عظيما باسم على زين العابدين .

سأله ابن زياد : من أنت ؟ فأجابه الشبل الكريم على بن الحسين .

قال ابن زياد : ألم يقتل الله على بن الحسين؟ فأجابه فى أناة : كان لى أخ أكبر منى يسمى عليا قتله رجالك .

قال ابن زياد فى جهالة وقحة : بل قتله الله ، فأجابه على : الله يتوفى الأنفس حين موتها فما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ودارت الأرض بابن زياد فنادى أحد أتباعه : خذ هذا الغلام واضرب عنقه ، وتقدم القاتل ، فاعترضت السيدة زينب طريقه وضمت ابن أخيها بين ذراعيها وصاحت يا ابن زياد : إذن فاقتلنى معه . فتراجع الطاغية .

وبمثل مخاطبتها لابن زياد ، كانت مجابهتها ليزيد حين أخذ الركب إليه بالشام ، تسبقه رؤوس الشهداء وفى مقدمتها رأس البطل الشهيد الحسين بن على رضى الله عنه .

❊ ❊ ❊

أين دفن شهداء آل البيت

استقرت أجسادهم الكريمة تحت الثرى الدامى لأرض كربلاء ، فعلى أثر رحيل جيش ابن زياد خف إلى مكان المعركة نفر من بنى أسد ، كانوا ينزلون بالقرب منها ، فدفنوا جثمان البطل . .

وعند قدميه دفنوا جثمان ابنه الحبيب على بن الحسين ومن حولهما دفنوا أجساد بقية الشهداء الممجدين . . وحيث وقع العباس بن على ، أخو الإمام الحسين دفنوا جثمانه الطاهر .

* * *

رأس الحسين رضى الله عنه

وأما رأس الحسين ، فقد راحت البقاع الإسلامية تتنافس ادعاء شرف إيواءه فيدعى كل منها أن الرأس عندها .

والرأس ليس مدفونا فى مصر كما ادعى الشيعة الباطنية الذين تسموا بالفاطميين وانتحلوا نسبا مزورا ، وادعوا أن رأس الحسين قد جاءت إلى مصر بعد حوالى أربعة قرون من استشهاده رضى الله عنه .



موقف السيدة زينب من أهل الكوفة

لما ساق الطاغية الجبان ابن زياد نساء أهل البيت إلى قصره إمعانا فى الإرهاب والاستخفاف بحرمة أهل البيت وإهانة النساء الطاهرات ومحاولة إذلالهن فاقتحم جنوده الجبناء خيمة النساء وأعملوا فيهن السلب والنهب ، وساقوا نساء البيت النبوى والأطفال بما فيهم السيدة زينب وأختها أم كلثوم وابنتا الحسن السيدة سكينة والسيدة فاطمة على ظهور الجمال .

شخصت السيدة زينب ببصرها فوقعت على جثث الشهداء من أهلها مجزورة الرءوس تحوم حولها الطيور الجارحة فسالت دموعها ، وقالت متحسرة :

يا محمداه صلى عليك مليك السماء وهذا حسين بالعراء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا ،إلى الله المشتكى يوم يقوم الناس لله رب العالمين .

يا محمداه هذا حسين بالعراء تشفى عليه الصبا ، قتله أولاد البغايا ، واحزناه واكرباه عليك يا أبا عبد الله ، يا أصحاب محمد هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق البغايا وهذا حسين مجزور الرأس مسلوب الرداء والعمامة .

فأبكت كلماتها أهل الكوفة .

وأنشد على زين العابدين بن الحسين وهو الصبى المريض قصيدة يندد فيها بصنع بنى أمية .

وأقبل أهل الكوفة يبكون ويناولون أهل البيت التمر والخبز والماء فصاحت السيدة أم كلثوم بنت الإمام على :

يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام نحن أهل البيت ، وأخذت التمر وألقت به والناس حولهم يبكون فنظرت إليهم قائلة :

صه يا أهل الكوفة ، يقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم فالحاكم بيننا الله يوم فصل القضاء ، وأطلت السيدة زينب برأسها من المحمل ، لتنظر ما تسمعه من ضجة عالية فإذا بها ترى مشهدا رهيبا يفتت الأكباد رأت رأس أخيها الحسين محمولا على رمح فأنت أنة شديدة خلعت القلوب وأشخصت الأبصار .

يا هلالا لما استتم كمالاً   هاله خسفه فأبدى كسوفًا

ما توهمت يا شقيق فؤاد   كان هذا مقدراً مكتوبًا

ثم أشارت إلى الناس فسكت أصواتهم وأخذت تخاطبهم بلسانها الفصيح يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون ! فلا رفأت الدمعة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا فبئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون ، أتبكون وتنتحبون إى والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، ويلكم يا أهل الكوفة ، أتدرون أى كبد لرسول الله ﷺ فريتم وأى دم سفكتم وأى كريمة له أبرزتم وأى حرمة له انتهكتم لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أتعجبون أن أمطرت السماء وما لعذاب الآخرة آخر وأنتم لا تنصرون وإن ربك لبالمرصاد .

حق لها أن تبكى وكيف لا وقد قتل ظلما ثلاثة وسبعون شهيدا ثبتوا أمام أربعة آلاف حتى قتلوا عن آخرهم دفاعا عن الحق والعدل وكان من بين الشهداء عون بن عبد الله بن جعفر وأخوه محمد وعثمان ومحمد الأصغر وأبو بكر وبقية

الشهداء من أهل البيت أمام ناظريها ، وكان كلما سقط منهم شهيد تتوجه إلى الله تعالى : اللهم تقبل منا هذا القربان .

وهذه أبيات نسبت إلى الطاهرة زينب :

ماذا تقولون إن قال الرسول لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتى وبأهلى بعد فرقتكم منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم

ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

أمر الأثيم ابن زياد ، فجئ له برؤوس الشهداء من أهل البيت النبوى الشريف فجعل الطاغية الجبان ينكث بقضيب كان فى يده بين ثنيتى الرأس الشريف غير عابئ بشعور الحاضرين ، ولا مراع مشاعر أهل البيت الأطهار وهم يرون إجرامه الأثيم .

عند ذلك انبرى له زيد بن الأرقم وصاح قائلا : اعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين ؛ فوالله الذى لا إله غيره ، لقد رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هاتين الثنيتين يقبلهما ، ثم بكى فقال له اللعين ابن زياد : أبكى الله عينيك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك . فخرج ابن الأرقم وهو يقول : أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويؤمر شراركم ، فرضيتم بالذل .

❊ ❊ ❊

السيدة زينب فى مواجهة يزيد بن معاوية

لما بعث يزيد بن معاوية برأس الحسين رضى الله عنه وظل ينكث بقضيبه فى ثنايا الإمام قامت إليه السيدة زينب قائلة : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون** ﴾ (الروم : ١٠) أفظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أظننت أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة فشمخت بأنفك جزلان فرحا ، ونسيت قول الحق عز وجل : ﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين** ﴾ (هود : ٧٣) وسترد على رسول الله وعترته فى حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم وسيعلم من بوأكم من رقاب المؤمنين يوم يكون الحكم لله والخصم محمد رسول الله ﷺ وجوارحك شاهدة عليك ﴿ **فبئس للظالمين بدلا** ﴾ .

فإن اتخذتنا مغنما لتتخذن مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك تستصرخ بابن مرجانة ويستصرخ هو بك وتتعادى وأتباعك عند الميزان وقد وجدت أفضل زاد لك قتلك ذرية محمد ﷺ فكد كيدك واسع سعيك وانتظر يوم ينادى المنادى ألا لعنة الله على الظالمين .

أطرق يزيد برأسه وقد شعر بالخزى والعار لعدوانه على أهل بيت النبى ﷺ وساد المجلس صمت رهيب وحزن ووجوم ، وأصدر يزيد أوامره إلى أمراءه أن

يأخذوا السيدة زينب ومن معها من أهل البيت إلى دار الحكمة بدمشق قبل رحيلهم إلى المدينة المنورة .

كانت السيدة الطاهرة زينب رابطة الجأش متماسكة صابرة مسلمة لقضاء الله تعالى وهى تردد قوله تعالى : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ . ولئن كان الإمام الحسين وسيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ وحبيب جده المصطفى والأسوة الحسنة فى التمسك بالحق والتضحية فى سبيله بالروح فإن السيدة زينب أخذت عن أخيها هذه المكارم والمحاسن والصفات فبعد استشهاد أخيها الحسين أخذت ابن أخيها على زين العابدين وبقية جده المصطفى ولم تفارقه لحظة .

❋ ❋ ❋

ترجمة السيدة زينب رضى الله عنها

ولدت السيدة زينب رضى الله عنها فى شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة ونمت بين أهل بيتها الأطهار سلالة النبى ﷺ خاتم الأنبياء ، تتشرب الأخلاق النبوية الكريمة وهى ابنة الإمام على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ وفاطمة بنت محمد ﷺ وأخت الإمامين السبطين الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وحين ولدت رضى الله عنها كان جدها المصطفى ﷺ فى سفر فلم تشأ أمها السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين أن تختار لها اسما حتى عاد الرسول ﷺ من سفره فحملها بين يديه وحمد الله على عطاءه ثم سأل أباها بم سميت ابنتك ؟

فأجاب الإمام على : ما يكون لنا أن نسميها حتى يسميها رسول الله ﷺ .

اختار لها الرسول ﷺ اسم خالتها زينب ابنته الكبرى ووصى بها والديها ثم ضمها إلى صدره فى شفقة ورحمة ليزودها بالصبر على ما ينتظرها من خطوب ولم تكد تبلغ الخامسة من عمرها حتى قبض جدها المصطفى ﷺ فحرمت من عطفه وحنانه ورحمته وما هى إلا شهور ستة حتى فارقتها أمها وهى ما زالت طفلة صغيرة فألقيت عليها مسئولية رعاية البيت ، وفرض عليها دور الأم لأخويها الحسن والحسين ، وأن ترعى شئون أبيها كما أوصتها أمها قبل موتها ، وكان أبوها على رضى الله عنه مشغولا بهموم الخلافة . . حيث كانت حياته كلها جهاد متصل قبل الخلافة وبعدها ، ولم تلبث إلا قليلا حتى هزتها فاجعة مقتل أبيها الإمام رضى الله عنه وهو خارج ليؤم المسلمين فى صلاة فجر يوم من أيام رمضان، فإذا بيد الشقى اللعين الخارجى عبد الرحمن بن ملجم تمتد لتضرب رأس الإمام بسيف مسموم . . فتقتله غدرا وظلما .

وتمر الأحداث سريعا والناس فى اختلاف حول إمامة أخيها الحسن عقب استشهاد أبيه ما بين مؤيد ومعارض ومتهم لأبيها وأخويها زورا بالتحريض أو التقصير إزاء مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فتتسلل يد أثيمة فى ظلام الفتنة فتضع زوجة أخيها له السم فى طعامه فيموت مسموما وهو الذى آثر الصلح والسلام ، فقد تنازل عن الخلافة للطامعين فيها رغبة فى أن يصلح الله به بين طائفتين متقاتلتين من المسلمين ، فتراه يتلوى من شدة الألم فى فراشه والسم يقطع أمعاءه بين يديها فتقول صابرة محتسبة : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وكانت الطامة المروعة التى أكملت مأساتها المروعة هى مجزرة كربلاء فى

العاشر من العام الواحد والستين للهجرة فتوالت عليها الخطوب والبلايا من كثرة الشهداء من أهل بيتها الأطهار وغزارة ما سال من دماء زكية وهى تودعهم بقلب كسير وعين دامعة ، يوصيها أخوها الشهيد فيقول وهو يحتضر : يا أختاه أقسم عليك فأبرى قسمى ، لا تشقى على جيبًا ولا تخمشى على وجها ولا تدعى على بالويل والثبور . . إذا أنا هلكت ، فتقول : لأهلكن دونك يا عترة النبى يا زهرة البيت الكريم ، ثم تصغى إليه وهو يناجى الله : اللهم إنى أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك .

أما زينب رضى الله عنها فانفجرت باكية وهى تقول فى غير اعتراض على قضاء الله : ألم يكفهم منا ما رووا الأرض من دماء أبناء بنت رسول الله فهان عليهم أن ينكلوا بجسد ريحانة رسول الله فجزوا رأسه وعلقوه على الرماح . . حسدا وحقدا من عند أنفسهم ، ورفعت رأسها إلى السماء قائلة : اللهم باعد بينى وبين وجوه الأشقياء كما باعدت بين المشرقين .

لبث أهل البيت أياما فى دار الحكمة بدمشق وقلوبهم منفطرة من الحزن والألم بينما كان يزيد يوارى بطش وظلم رجاله بالتظاهر بالرفق واللين ، وأمر النعمان بن بشير رضى الله عنه أن يسيرهن إلى المدينة المنورة فى حراسة بعض الرجال فتحرك موكب آل البيت وفيهن السيدة زينب إلى مدينة رسول الله ﷺ وكان رئيس الحرس الذى رافق القافلة من المحبين لآل البيت متفانيًا فى خدمتهم ، ولما أرادت السيدة زينب أن تكافئه ببعض ما معها ومع أختها فاطمة من حلى فأبى أن يأخذ منه شيئا وقال : لو كان الذى صنعت إنما هو للدنيا لكان فى حليكن ما يرضينى ودونه ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ ، وأرسل على زين

العابدين رسولا إلى المدينة قبل أن تصل إليها قافلة أهل البيت يخبر أهلها وينادى فى الأسواق قائلا : إن زين العابدين بن الحسين وعماته وبنى عمومته قد قدموا إليكم . وما إن أشرفت القافلة على ضواحى المدينة حتى خرج أهلها فى سواد الحداد يستقبلون آل البيت بالبكاء والنحيب منفطرة قلوبهم من هول ما حدث لهم مرددين واحسيناه واحبيباه .

وانطلق الموكب حتى أناخ بباب مسجد رسول الله ﷺ حيث وقفت أم كلثوم أمام قبر جدها ﷺ تبكى وتقول :

السلام عليك يا جداه ، إنى ناعية إليك الحسين ، وارتفعت فى كل نواحى المدينة صيحات السخط والاستنكار تندد بالجريمة الشنعاء التى اقترفها المجرمون فى حق آل البيت مرددين :

أيها القاتلون جهلا حسينا — أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعوا عليكم — من نبى ومالك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو — د وموسى وحامل الإنجيل

وظل أهل المدينة ومن حولها يفدون على بيوت آل النبى مواسين ومعزين يستمعون إلى ما تقصه السيدة زينب رضى الله عنها من حديث المأساة التى أودت بحياة شباب أهل بيت النبى ﷺ وذوى قرباه وأبناء الصحابة الكرام الذين ضحوا بأرواحهم دفاعا عن الحق ومساندة للإمام الحسين رضى الله عنه .

❊ ❊ ❊

زواج السيدة زينب رضى الله عنها

ما إن بلغت السيدة الكريمة زينب بنت على بن أبى طالب مبلغ الشباب حتى تقدم للزواج منها عبد الله بن جعفر الطيار الذى كان أول مولود للمسلمين فى الهجرة الأولى إلى الحبشة ، فوافق الإمام على زواج ابن أخيه من ابنته زينب .

كان عبد الله بن جعفر زوج السيدة زينب سخيا كريما ، نشأ بين أبوين كريمين وكان رسول الله ﷺ شديد العطف عليه ، مسح على رأسه بيده الشريفة ودعا له قائلا : اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله بن جعفر فى صفقة يمينه . قالها ثلاثا . .

وقد أثمر زواج السيدة زينب المبارك من عبد الله بن جعفر أبناء وبنات ماتوا جميعا دون عقب إلا عليا الأكبر وأم كلثوم .

وكانت السيدة زينب نعم الزوجة لزوجها ونعم الأم لأبنائها فقد كانت متخلقة بأخلاق أمها السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها فجمعت بين التبتل والعبادة وبين تربية الأبناء على حب الله ورسوله وأهل بيته ، وقد كانت فقيهة عالمة تروى أحاديث جدها ﷺ لأولادها وأسرتها وتتلو كتاب الله تعالى وتعلم نساء المسلمين .

❋ ❋ ❋

علمها وسيرتها رضى الله عنها

كانت رضى الله عنها فقيهة عابدة متصفة بمكارم الأخلاق وحميد الصفات مع أدب جم وحكمة سديدة وعلم غزير ورأى سديد ، فهى بنت بيت كريم أخذت عن أبيها البلاغة والشجاعة والزهد وعن أمها الكرم والحنان والتدبير ، وكانت تقوم بتفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث المصطفى ﷺ وتروى السيرة النبوية وسيرة أهل بيتها وصحابة جدها ﷺ . وكان الناس يستفتونها فيما يعرض لهم من مسائل لما يعلمون من غزارة علمها وحكمتها وسعة صدرها وعبادتها ودعائها .

وكانت النساء تجتمعن فى مجلسها يستمعن إليها فقد كانت لبيبة ناصعة الحجة سريعة البديهة متوقدة الذكاء وأفحمت الطغاة من بنى أمية وكان لكلامها إذا واجهت الطغاة وقع السهام قوية الحجة لا تتردد عن قول الحق .

وكانت كأمها فاطمة كثيرة الصيام والقيام وكانت تسابق أخاها الحسين فى العبادة وتلاوة القران وكانا يقطعان الليل فى العبادة وكانت تتصف بالتوكل على الله والتسليم المطلق لقضاءه تعالى .

أخذت عن أبيها مكارم الأخلاق كالورع والتقى والتضحية والإيثار وقول الحق. كانت كأبيها معتقدة بأن الحق يجب أن يسود دون مراوغة أو دهاء وكذلك كان موقف أخيها الحسين رضي الله عنه .

نشأت وأخوها على الطهر والعفاف والتقوى والتضحية وعدم التفريط فى الحق أو المداهنة مهما كانت التضحيات والعقبات .

كانت إذا أرادت الخروج لزيارة قبر جدها ، تخرج ليلا متدثرة بالحجاب الساتر من الرأس حتى القدم والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأبوها الإمام علىّ أمامها فإذا اقتربت من القبر الشريف سبقها أخوها فأطفأ ضوء القناديل خشية أن ينظر إليها أحد .

ومما أنشدته السيدة زينب فى التوكل :

سهرت أعين ونامت عيون   لأمور تكون أو لا تكون

إن ربا كفاك ما كان بالأمس   سيكفيك فى غد ما يكون

فادرأ الهم ما استطعت عن النفس   تملآنك الهموم جفون

كما كانت تقول فى التسليم لقضاء الله :

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى   ولا الأمور التى تجرى بتقديرى

❊ ❊ ❊

السيدة زينب فى مصر

روى بعض كتاب السير أن والى المدينة خشى من وجود السيدة زينب بالمدينة فإن وجودها يزيد الثورة اشتعالا على بنى أمية فطلب منها بأمر يزيد أن تخرج من المدينة وتختار أى بلد تريد .

وأحاط بها نساء بنى هاشم مشفقات عليها مما يمكن أن يحدث لها من انتقام

بنى أمية إن هى استمرت فى مناوأة الوالى ، وقالت لها ابنة عمها زينب بنت عقيل: يا ابنة عمى ، قد صدقنا الله وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء، وسيجزى الله الشاكرين ، ارحلى إلى بلد آمن .

فاختارت مصر مقاما ومستقرا ، وقد كانت مصر فى هذه الفترة أكثر البلاد أمانا واستقرارا . فالحجاز وحاضرتاه مكة والمدينة قد اشتعلت غضبا على يزيد كما ذكر المسعودى فى مروج الذهب .

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وما ظهر من فسقه وقتل ابن بنت رسول الله وأنصاره ، أخرج أهل المدينة عاملها عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسائر بنى أمية ، ولما وصل الخبر إلى يزيد سير إليهم الجيوش بقيادة مسلم بن عقبة المرى الذى حاصر المدينة من جهة الحرة وأخاف أهلها وقتل منها ثلاثمائة من الصحابة وعشرة آلاف من غيرهم ، وكثيرا من بنى هاشم الذين لم ينج منهم سوى على بن الحسين السجاد ، وعلى بن عبد الله بن العباس وقد عصم الله الأول بدعائه ومنع الثانى أخواله من كثرة الذين كانوا فى جيش مسلم بن عقبة .

وترك مسلم بن عقبة المدينة متجها إلى مكة بقيادة ابن الزبير ولكنه هلك فى الطريق وتولى بعده قيادة الجيش الحصين بن نمير الذى نصب المجانيق حول الكعبة ورماها بالأحجار المحماة حتى اشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير ، وكانت الحالة فى البلاد الإسلامية مشحونة بالسخط .

أما الشام فهو مقر الأمويين الذين استقطبوا أهله بالمال والوعود وزينوا لهم كراهية على وبنيه .

أما العراق وهو شيعة على فقد وجه إليه الأمويون سخطهم وبلوا أهله بالجبابرة من أمثال ابن زياد ثم ابنه عبد الله ثم الحجاج بن يوسف الثقفى الذين تتبعوا شيعة عل وبنيه فأذاقوهم ألوان العذاب .

ظلت هذه الأمصار تضطرب بالفتن والقلاقل ، ولم ينج من ذلك إلا مصر التى جعلها الله كنانته فى أرضه فظلت معقل الإسلام ودار الأمان .

واشتهر أهل مصر بالطيبة والصلاح .

قال القضاعى : أنه كان بمصر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للهجرة من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وغالب هذه المساجد كانت بالقرافة الكبرى والعسكر وأرض القطائع ، فما بالك بما وجد بعد ذلك .

وقيل إن أهل مصر لما قتل الحسين بن على بأرض كربلاء تلقوا أهل البيت بمدينة الفرما وما هى أول مدينة من مدائن مصر وحملوهم فى الهودج وأوسعوا لهم فى الكرامة وأنزلوهم خير الأماكن بمصر ، وآووهم .

فكان أهل البيت يقولون : يا أهل مصر نصرتمونا نصركم الله ، وآويتمونا آواكم الله ، وأعنتمونا أعانكم الله ، وجعل لكم من كل مصيبة فرجا ومن كل ضيق مخرجا .

وبعض المؤرخين ورواة السير والأخبار يقولون بأن السيدة زينب لم تأت إلى مصر وينفون وجود رأس الحسين رضى الله عنه بمصر .

❊ ❊ ❊

وفاة السيدة زينب رضى الله عنها

صعدت روحها الطاهرة إلى بارئها عشية الأحد لخمسة عشر يوما مضت من رجب من العام الثانى والستين من الهجرة رضى الله عنها .

❊ ❊ ❊

من هم أهل البيت

عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ، خطيبا فقال : «أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا » فقيل لزيد : من أهل البيت ؟ .

قال : أهل البيت من حرم الصدقة بعده . وقيل من هم ؟ . قال : آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس .

فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بأهل البيت بيت النسب بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ أى اذكرن موضع النعمة إذ صيركن الله فى بيوت يتلى فيها آيات الله والحكمة ، أو اذكرنها وتفكرن فيها لتتعظن بمواعظ الله ، أو اذكرنها للناس ليتعظوا بها ويهتدوا بهداها .

والذين حرموا الصدقة هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وكذلك نساؤه من أهل بيته ، ويرى بعض العلماء أن أهل البيت هم الزوجات وفاطمة

والحسن والحسين .

وقال الإمام الحسن فى بعض خطبه لأهل العراق : وأنا من أهل البيت الذى كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذى أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وقال أيضا : إنا أهل بيت أكرمه الله بالإسلام واختارنا واصطفانا وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيرا ، لم تفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله فى خيرهما من آدم إلى جدى محمد ﷺ فلما بعثه الله بالنبوة واختاره للرسالة وأنزل عليه كتابه ثم أمره بالدعاء إلى الله عز وجل فكان أبى أول من استجاب لله ولرسوله وأول من آمن وصدق الله ورسوله ﷺ ، وقد قال الله فى كتابه المنزل على نبيه المرسل ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ يقول : فجدى الذى على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه .

❊ ❊ ❊

السيدة نفيسة رضى الله عنها

مولدها :

ولدت السيدة نفيسة رضى الله عنها بمكة المكرمة فى يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة النبوية ، وقد فرح بها أبوها أبو محمد الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين إذ زفت إليه بشرى مولدها جارية له وهو يلقى درسا من دروس العلم بالمسجد الحرام : أبشر يا سيدى فقد ولدت لك الليلة مولودة جميلة ، لم نر أحسن منها وجها ولا أضوأ منها جبينا ، يتلألأ النور من ثغرها ، ويشع من محياها .

سجد الحسن الأنور لله سجدة الشكر ، وأجزل العطاء للجارية وقال لها : مرى أهل البيت فليسموها نفيسة فسوف تكون إن شاء الله تعالى نفيسة ، وقام الأهل والأصدقاء بتهنئة الحسن الأنور بتحقيق أمله فشكر لهم ثم رفع يديه إلى السماء ودعا : اللهم أنبتها نباتا حسنا ، وتقبلها قبولا طيبًا ، واجعلها من عبادك الصالحين ، وأوليائك المقربين الذين تحبهم ويحبونك وتصافيهم ويصافونك وتقبل عليهم ويقبلون عليك ، اللهم اجعلها معدن الفضل ومنبع الخير ، ومصدر البر ، ومشرق الهداية والنور ، اللهم اجعلها نفيسة العلم ، عظيمة الحلم ، جليلة القدر، قوية الدين ، كاملة اليقين .

وفى يوم مولدها قدم رسول الخليفة أبو جعفر المنصور ، قد ترجل عن

فرسه، ودخل المسجد الحرام حتى وصل إلى الحسن الأنور ثم أخرج كتابا وقدمه إليه فى احترام وتوقير ودفع مع هذا الكتاب هدية الخلافة سرة تحتوى على عشرين ألف دينار ، وكان الكتاب يفوح منه رائحة المسك ، ففتح الحسن الكتاب فإذا فيه الأمر بتوليته إمارة المدينة . دخل الحسن على ابنته الميمونة وقبلها فى حنان وشفقة.

حل وقت التقارب بين العلويين والعباسيين بعد زمن طويل من التباعد واستعار نار العداوة والخصومة ، واتسعت الشقة فيما بين العباسيين وأبناء عمومتهم من العلويين .

***

الحسن الأنور يتوجه إلى المدينة

سار الحسن الأنور نحو المدينة ، ودخل الموكب المدينة ، وكان يوم جمعة ، فعلم أهل المدينة بقدوم الموكب فخف أبناء المهاجرين والأنصار وسلالة الصحابة والتابعين إلى لقاء حفيد الرسول ﷺ فرحين بولايته عليهم ، وتوجه الركب وعلى رأسه الحسن الأنور وعلى كتفه وصدره ابنته الرضيعة نفيسة إلى مسجد رسول الله ﷺ حيث توجه الحسن لزيارة قبر جده المصطفى ﷺ .

أمها :

أم السيدة نفيسة أم ولد ، ولا يضيرها ذلك فقد تسرى إبراهيم عليه السلام وتسرى رسول الله ﷺ من أم ولد ، وكذا زيد بن على .

قال الأصمعى : كان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء حتى نشأ فيهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى السرارى وأقبلوا على الزواج منهن وقد تزوج على زين العابدين رضى الله عنه جارية له بعد أن أعتقها فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إليه يؤنبه على فعله فكتب إليه على : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتم به النقيصة وأكرم به من اللؤم .

❊ ❊ ❊

نشأة السيدة نفيسة

نشأت السيدة نفيسة رضى الله عنها فى بيت كريم ، حيث أحاطها أبوها الحسن الأنور رضى الله عنه برعايته وحنوه ، وأخذ يلقنها علوم الدين فحفظها القرآن الكريم ، ولقنها حديث رسول الله ﷺ ، ودرس لها سيرة الصالحين ، وبث فيها مكارم الأخلاق وحب الأتقياء وآل البيت الطاهرين ، وكان يشركها معه فى عبادته ، ويقرؤها أحزابه وأوراده ، وكان يصحبها إلى المسجد النبوى الشريف لتشهد صلاة الجماعة وتحضر مجالس العلم ودروس الفقه وتلاوة القرآن ولتعايش الأخيار والأبرار والصالحين وذلك منذ أن بلغت الخامسة من عمرها ، ولم تكد تبلغ الثامنة حتى حفظت القرآن الكريم وكثيرا من أحاديث المصطفى ، وكانت تلازم أباها فى حله وترحاله ، فأخذت عنه القدوة الحسنة والخلق الكريم ، وقد

حببت إليها الصلاة وزينت فى قلبها العبادة وخالطت بشاشة الإيمان قلبها ، وأشربت حب الطاعة وذاقت حلاوتها فكانت وهى صغيرة تقول : اللهم حل بين قلبى وبين كل ما يشغلنى عنك ، وحبب إلى كل ما يقربنى منك ، ويسر لى الطريق لطاعتك واجعلنى من أهل ولايتك ، فإنك وحدك المرجو فى الشدائد المقصود فى النوائب والملمات .

والتقت بالإمام مالك صاحب الموطإ وعالم المدينة ، فى تلك البيئة الصالحة ، بيئة الورع والعلم والفقه والقرآن نشأت السيدة نفيسة رضى الله عنها وقد رعاها والدها الحسن الأنور رضى الله عنه وأحسن تربيتها وتعليمها وكان نعم القدوة الصالحة لها .

وكذلك أهل البيت الذين عكفوا على العبادة والتعليم وتلاوة القرآن وتدارس سيرة النبى ﷺ ودراسة الشعر والأدب ، فى هذه البيئة الصالحة تربت السيدة نفيسة فحفظت القرآن وحفظت الشعر وفهمت معانيه واستوعبت الفقه فتفتح عقلها وزكت نفسها ، ورقت عواطفها ، وأرهف حسها .

كانت صاحبة عزيمة صادقة وعقل راجح ، وهمة عالية ، وروح صافية وذاكرة حافظة ، ونفس مطمئنة ، وخلق رفيع ، وقلب رقيق فهى سليلة بيت النبوة ابنة العالم العابد الأمير تلميذة عالم المدينة ، ذات الحسب والنسب الذى لا يعلوه نسب كريمة المنبت صالحة المنبت .

❊ ❊ ❊

زواجها رضى الله عنها

لما بلغت السيدة نفيسة سن الزواج رغب فيها شباب آل البيت النبوى وأشراف قريش فكل خاطب يتمنى أن تكون له لما يعرفون من دينها وخيرها وصلاحها وإيمانها وتقواها ، وكان أشدهم حرصا عليها : إسحق بن جعفر الصادق (إسحق المؤتمن) سمى بذلك لأمانته ودينه وتقواه وهو إسحق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب .

وكان أبوها الحسن الأنور يرد الخاطبين حتى خطبها إسحاق من أبيها فوافق بعد تردد ، وبهذا الزواج اجتمع فرع الحسن (نفيسة) وفرع الحسين (إسحق) وكان إسحق من أهل الفضل والورع وكان محدثا موصوفا بالثقة كما يسميه المحدث ابن كاسب .

ولد إسحق المؤتمن بالعريض (واد بالمدينة) وكان من أشبه الناس برسول الله ﷺ وكان سفيان بن عيينة شيخ الشافعى يروى عنه ويقول : حدثنى الثقة ، وأنجب إسحق ثلاثة رجال محمد والحسن والحسين .

وولدت السيدة نفيسة من إسحق القاسم وأم كلثوم ، وترجمته فى تهذيب التهذيب : إسحق بن جعفر روى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، وعبد الله ابن جعفر المخزومى ، وصالح بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وغيرهم ، وروى عنه إبراهيم بن المنذر ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ، ويعقوب بن محمد الزهرى وغيرهم .

أخلاقها رضى الله عنها

كانت رضى الله عنها زاهدة عابدة كريمة سخية عالمة فقيهة تتصف بمكارم الأخلاق والزهد ، أنبتها الله تعالى نباتا حسنا ، وجعلها من أكرم البيوت وأشرف الآباء والأمهات .

كانت نعم الابنة ونعم الزوجة ، فعندما عزم إسحاق على السفر إلى المدينة حيث أصبح واليا عليها استأذنت منه أن تبقى لتمرض أباها ، فوافق زوجها على طلبها .

وحان رحيل إسحق والأطفال يبكون بكاءا شديدا موجعا ، فودعته نفيسة وهى تحاول التماسك لتعينه على أمره ، وكان موقفا مليئا بالمشاعر الدافئة والبكاء والعواطف النبيلة .

وكان إسحق يعرف لنفيسة حبها وطاعتها والقيام بواجباتها فى إخلاص وتفان ويعرف لها ما اتصفت به من خلق وحنان وصبر فكان لا يرد لها طلبا ، كانت كثيرة البر والخير والمواساة للمحتاجين والملهوفين والمهتاجين والمكروبين وكان لها مال كثير إلى جانب مال زوجها تعطى منه المرضى ولا ترد سائلاً ولا صاحب حاجة .

وكانت تأتيها منح الأمراء فتعطيها للفقراء عن آخرها ولا تأخذ لنفسها شيئًا من هذه المنح والعطايا .

وهب لها أحد الأمراء مائة ألف درهم وقال لها : خذى هذا المال شكرًا لله

تعالى لتوبتى فأخذته وصرته صرراً بين يديها ووزعتها على الفقراء والمحتاجين فقالت لها بعض النساء ممن كان عندها : يا سيدتى لو تركت لنا شيئًا من هذه الدراهم لنشترى به شيئًا نفطر عليه .

فقالت لها : خذى غزلا غزلته بيدى فبيعيه ثم اشترى به طعامًا نفطر عليه .

وكانت لا تمد يدها لإنسان غير زوجها بل كانت تأكل من عمل يدها وتعطى مما عندها عطاء من لا يخشى الفقر ، ولا غرو فهى من قوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وكانت تصل رحمها وكانت بنت أخيها زينب لما لمست فى عمتها العطف والبر انقطعت لخدمتها ولازمتها كظلها وعزفت عن الزواج للتفرغ لخدمة عمتها نفيسة وتسهر على راحتها وقضاء حوائجها وكانت السيدة نفيسة تبر خادمتها جوهرة وتحسن معاملتها فأشرب فى قلبها حبها والإخلاص لها حيث ملكت قلبها.

❊ ❊ ❊

كرامات السيدة نفيسة

يروى عن السيدة نفيسة رضى الله عنها الكثير من الكرامات ، وكانت مستجابة الدعوة حيث شفى كثير من الناس ببركة دعائها لهم ومنهم الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ، وكان الإمام الشافعى إذا مرض يرسل إليها رسولاً من قبله كالربيع الجيزى أو الربيع المرادى فيقرأها سلامه ويقول لها إن ابن عمك الشافعى

مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع إليه رسوله إلا وقد عوفى من مرضه .

فلما مرض مرضه الأخير أرسل على عادته رسوله يلتمس منها الدعاء فقالت لرسوله : متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم .

فجاء رسوله إليه فسأله عما أجابت به فقال له ما سمعه منها فعلم أنه ميت فأوصى أن تصلى عليه وقد مر نعشه ببيتها حيث وصيته وبأمر السرى بن الحكم وكطلب السيدة نفيسة نفسها لضعفها عن الحركة وصلت عليه السيدة نفيسة مأمومة بصاحبه ابن يعقوب البويطى فسمع صوت يقول اللهم اغفر لمن صلى على الشافعى واغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة .

وقد ترحمت عليه بقولها رحم الله الشافعى كان رجلاً يحسن الوضوء .

وأقامت السيدة نفيسة فى المدينة ثلاثين سنة حجت فيها ثلاثين حجة ماشية على قدميها ، وكانت ترفض ركوب الدواب والمراكب ، وأبت أن تعلو ظهرها ، وتقول لمن حولها : لقد كان جدى الحسن يذهب إلى حج بيت الله ماشيًا ، وعنده الخيل والنياق النجيبة ، والبغال الفارهة ، رغبة منه فى الأجر ، وحرصًا منه على رضوان الله .

وقالت زينب بنت أخيها يحيى : خدمت عمتى السيدة نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت إلا العيدين وأيام التشريق .

فقلت لها : أما ترفقين بنفسك؟

فقالت : «كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعهن إلا الفائزون » .

وكانت تقول : كانت عمتى تحفظ القرآن وتفسيره ، وكانت تقرأ القرآن

وتبكى .

وكانت متقشفة زاهدة قليلة الأكل رغم أنها نشأت فى بيت غنى وثراء .

وتقول زينب بنت يحيى : « كنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به فعجبت من ذلك ، فقالت يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى استطاعته .

وكانت مع زهدها لا تعتزل الناس بل تجتمع مع ذوى الحاجات وتستمع إليهم وكان الحجاج من سائر أقطار العالم الإسلامى يفدون إلى زيارتها والتزود من علمها ودعائها .

وكانت تمضى أكثر وقتها فى مصلاها ، وكان زهدها هجرًا لما يعوقها عن الله وطاعته وعن العمل لآخرتها والتزود لها .

❊ ❊ ❊

قدوم السيدة نفيسة إلى مصر

كان كثير من المصريين يلتقون بالسيدة نفيسة فى مواسم الحج فطلبوا منها زيارة مصر حبًا فيها وفى آل البيت الكرام ، فكانت ترحب بدعوتهم شاكرة مثنية عليهم وعلى مصر لما تعلمه من ذكر مصر فى القرآن وفى السنة النبوية المطهرة حيث قال المصطفى ﷺ : « إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لكم فيهم صهرًا ونسبًا ، فهم أخوال إسماعيل وأخوال إبراهيم ابن رسول الله ﷺ » .

فكانت تعدهم بزيارة مصر . وتقلبت الأحوال بآل البيت وعزل والدها الحسن الأنور عن ولاية المدينة بعد وشاية من أحد الواشين واضطربت الأمور وتحول الود الذى كان بين آل البيت وبنى عمومتهم العباسيين ودس الجواسيس على العلويين وضيق عليهم ففكروا فى الرحيل عن المدينة مع حبهم الشديد لها ووقع اختيار أهل البيت على مصر لتكون لهم وطنا ثانيا ومقرًا أمينًا فعقدوا العزم على الهجرة إليها .

خرج أهل البيت من المدينة المنورة بعد زيارة قبر المصطفى ﷺ ، وودعهم أهل المدينة باكين وكيف لا وهم سلالة الرسول ، وأهل الدين والقرآن ، ومنازل الوحى وأحباب الملائكة المظلومون المضطهدون ضحايا الأطماع السياسية والدنيوية .

كان الركب المبارك يحمل السيدة نفيسة وزوجها إسحق المؤتمن وابنيها القاسم وأم كلثوم وغير ذلك من أهل البيت .

وما إن وصل أهل البيت إلى مصر حتى هب المصريون للترحيب بهم وإكرام وفادتهم معبرين عن بالغ سرورهم وفرحتهم الغامرة وفيهم الأكابر من العلماء والأمراء والأعيان حتى أنهم كانوا يتسابقون فى تكريمهم وكل يطلب أن يكون له شرف الاستضافة حتى نال هذا الشرف السيد جمال بن الجصاص فنزلوا داره بين الترحيب والتكريم والحفاوة حيث أوسع لهم فى داره ، وأقامت السيدة نفيسة فى مصر ، إلى أن توفيت ودفنت بها .

❊ ❊ ❊

حياة السيدة نفيسة بمصر

كانت السيدة نفيسة تقابل الزوار والمستفتين والعلماء والكبراء والفقراء والمحتاجين وطالبى الدعاء والحاجات .

وكانت رضى الله عنها لا ترد سائلا ، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وتمعن فى العبادة وتلاوة القرآن ودراسة الحديث النبوى فروت منه عن أبيها وآل بيتها ، وكان يغشى بيتها كبار الأئمة والفقهاء ، والعباد والزهاد ، من أمثال حرملة ابن يحيى التجيبى ، ويكنى أبا حفص ، وكذلك الإمام الشافعى والربيع بن سليمان المرادى الفقيه المصرى ، وهو ممن تلقى الحديث من السيدة نفيسة ، وهو من أصحاب الإمام الشافعى وراوية كتبه وكان إماما ثقة صاحب حلقة بمصر . وقد قال فيه الإمام الشافعى : ما فى القوم أنفع لى منه ولقد وددت أنى حسوته العلم.

وممن زارها سحنون بن سعيد الفقيه المالكى واسمه عبد السلام ،وكذلك كان الفقيه الإمام عبد الله بن الحكم من جملة أصحاب الإمام مالك وقد أفضت إليه رياسة المالكية بعد أشهب وقد بلغ هو وبنوه من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد ، وكان لا ينقطع عن زيارة كريمة الدارين فى حياتها ولا عن زيارة قبرها بعد وفاتها، وقد سمع عليها الحارث واستفاد كثيرا من آثارها وأخبارها ، ومن العباد الزهاد : بشر بن الحارث المعروف ببشر الحافى ، وكذلك الإمام الورع إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه .

كانت السيدة نفيسة تسمع عن الإمام أحمد بن حنبل أنه عالم جليل صاحب

مذهب فقهى ، وكذلك كان الإمام أحمد لم يكن قد رأى السيدة نفيسة من قبل وكان قد سمع بعلمها وصلاحها وتقواها حتى مرض بشر بن الحارث ، وكان يتردد على منزل السيدة نفيسة ، ويشارك فى مجلس علمها ، فلما انقطع عن زيارتها سألت عنه وعلمت بمرضه ، فذهبت تعوده فى داره ، وهناك وجدت الإمام أحمد ابن حنبل ، فسأل الإمام أحمد عنها ، فلما عرف أنها السيدة نفسية أحسن تحيتها، وطلب من بشر أن يسألها لهما الدعوات ؛ لعلمه أنها مستجابة الدعوة ، فدعت قائلة : اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين .

وطلبت السيدة نفيسة منهما أن يدعوا لها فدعوا لها كطلبها ، وما زالت السيدة نفيسة تستقبل العلماء والصالحين حتى جاء الشافعى إلى مصر واستقر بها وكان الشافعى معروفا بحب آل البيت والتشيع لهم والنطق بمديحهم وإنشاد الشعر فى ذكر مآثرهم وحبهم . وكانت السيدة نفيسة تجل الإمام الشافعى لقرابته وعلمه وورعه وتقواه ، واجتهاده فى فهم نصوص الدين ، ولشدة ثقتها به طلبت منه أن يكون إماما لها يصلى بها الفرائض ، فأجابها إلى ذلك ، فلما جاء شهر رمضان الذى كانت تحتفى به وتكثر فيه من الطاعة والعبادة والقيام طلبت منه أن يؤمها فى صلاة التراويح فأجابها الإمام ، وكان مسجدها عامرا بالعبادة والمصلين طوال الليل والنهار . وقامت فتنة فى مصر من المتعصبين للإمام مالك ومذهبه ضد الشافعى وضغطوا على الحاكم لطرد الإمام الشافعى من مصر فدعت على الحاكم فمات وبقى الشافعى بمصر إماما لها حتى وفاته بعد أن اعتل ومرض رحمه الله تعالى ورضى عنه وعن سيدتنا نفيسة .

الابتلاء والوفاة

ابتليت السيدة الصابرة التقية نفيسة بفراق زوجها إسحق حيث ولاه أمير المؤمنين ولاية المدينة وقد تزوج هناك وولد له ، وبموت ولديها الحبيبين القاسم وأم كلثوم الذين كانت تتعزى بهما عن غياب زوجها إسحق فصارت وحيدة حزينة ، ولم يكن يسرى عنها إلا قدوم الشافعى إلى مصر حيث كان يعزيها كأحسن ما يكون العزاء ويذكرها بالرضا بقضاء الله تعالى وأن الموت نهاية كل موجود ، ثم ابتليت بوفاة الشافعى رضى الله عنه فبكت فى يوم وفاته كما لم تبك من قبل .

وابتليت بالمرض الشديد من شهر رجب حتى شهر رمضان سنة مائتين وثمان للهجرة ونصحها الطبيب بالفطر حيث كانت صائمة منذ شهر رجب حتى شهر رمضان فأبت أن تفطر لأنها كانت تسأل الله منذ ثلاثين سنة أن يتوفاها الله وهى صائمة وكانت رضى الله عنها قد حفرت قبرها بيديها وقرأت فيه ألف ختمة ، وصلت فيه ألف ركعة ، وأوصت أن تدفن فيه .

وافتتحت القراءة قبيل احتضارها حتى وصلت إلى قوله تعالى : ﴿ **لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون** ﴾ فغشى عليها ، وضمتها زينب بنت أخيها إلى صدرها ، فسمعتها تنطق بالشهادتين ، وقبضت رضى الله عنها إلى رحمة الله تعالى وكان ذلك فى سنة ثمان ومائتين ، وذلك بعد موت الإمام الشافعى بأربع سنين .

❊ ❊ ❊

موقف أهل السنة من الأضرحة

قال تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ . فهم يرون أن كل مؤمن تقى هو ولى لله تعالى ، وإن كان أعلى الأولياء منزلة هم أهل البيت والصحابة وحبهم فرض على كل مسلم ومسلمة لا خلاف فى ذلك فأهل السنة الذين هم على طريقة النبى ﷺ والسلف الصالح يترضون على الصحابة ويرون أنهم عدول كلهم ويترضون عن آل البيت وهم الذين حرمت عليهم الصدقة والذين يمتون بصلة القرابة للنبى ﷺ من ناحية النسب أو المصاهرة.

ولكنهم لا يقرون إقامة الأضرحة وتزيينها وتوجيه العبادة إليها كما يفعل كثير من الجهال والعوام الذين يدعونها من دون الله أو يسجدون ويعفرون وجوههم فى ترابها .

هل يجادل مسلم فى أن العبادة لا تنبغى إلا لله تعالى وهل الحب لآل البيت والأولياء يبرر عبادتهم واعتقاد إجابة الدعاء عند قبورهم والاستشفاع بهم ؟ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اعلموا بأنا مسلمون . رحم الله السيدة نفيسة ورضى عنها فقد كانت عالمة فقيهة تقية ورعة كريمة تفرج كرب المكروبين وتعين على نوائب الحق وتحمل الكل وتقرى الضيف مقتدية بعمل جدها رسول الله ﷺ . ورضى الله تعالى عن آل بيت نبينا ﷺ .

إمارة الحسن الأنور

نسبه :

هو أبو محمد الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كان الحسن الأنور واليًا عادلاً رحيمًا يقبل من المحسن ويعفو عن المسيئ ، وكان عند ظن الناس به ، عاملاً بالشريعة ، الناس عنده سواسية لا يكرم غنيًا لغناه ولا يهين فقيرًا لفقره .

نهض بأعباء الإمارة ، وقام بتبعاتها خير قيام ، قرب العلماء والفقهاء من مجلسه وجعلهم مستشاريه ، وأحب الصالحين وأكرمهم وجعلهم حاشيته وأعوانه، نظر فى المظالم ورد الحقوق إلى أصحابها ، وأجزل العطاء للفقراء والمساكين ، وأعطى الوفود والشعراء ، وأمن الطرق ونشر الإصلاح وعامل الناس بالبر والإحسان والفضل ، وسير الغزوات للجهاد فى سبيل الله ، وكفل الأيتام والأرامل ، وعاد المرضى ، وواسى الضعفاء والأرامل ، فأحبه الناس والتفوا حوله، وشاع ذكره وتناقلت الركبان سيرته ، وذكر بخير فى المجامع والمحافل ، وتناقل الناس أخباره فى العواصم والأمصار والقرى ، وأصبح الناس يقارنون بينه وبين حكامهم ، وكيف لا وهو الذى أعاد فيهم سيرة جده المصطفى ﷺ ، وعدل الخلفاء الراشدين ، حيث كان متواضعًا تقيًا ورعًا ، يخشى الله فى كل أموره ، ولا يحتجب عن رعيته ويعلم أنه يُسأل عنهم يوم القيامة .

وما لبث الوشاة أن دسوا إلى الخليفة أبى جعفر المنصور بأن الحسن الأنور يتطلع إلى الخلافة ، وكان ذلك الواشى ممن أحسن إليهم الحسن ورفع منزلتهم وقربهم من الخلافة ، فأسرع المنصور وعزل الحسن عن ولاية المدينة ثم حبسه وصادر أمواله واضطهد آل البيت وشردهم .

ولما توفى المنصور وآلت الخلافة إلى المهتدى ، نظر فيما حدث لآل البيت من الظلم والسجن والتشريد ، فأطلق سراحهم وأعاد إليهم أموالهم ورد إليهم اعتبارهم ، واعتذر إلى الحسن وعرض عليه أن يعود لولاية المدينة فأبى فقبل منه ، وتفرغ الحسن للعبادة والعلم فقد كان قد سئم الحكم والسلطة .

وأحسن الحسن إلى من أساء إليه وتركه لله تعالى متأسيًا بجده المصطفى ﷺ الذى كان يعفو عند المقدرة ويرد الإساءة بالإحسان متمثلاً قوله تعالى : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [فصلت : ٣٤ - ٣٥] .

وكان الحسن رضى الله عنه واسع الثراء، وله مال بالغابة، وقصر بالحمراء من أعظم القصور .

أولاده :

خلف الحسن من الذكور تسعة ، ومن البنات اثنتين : السيدة أم كلثوم وقد تزوج بها العباس السفاح الخليفة العباسى ، والسيدة نفيسة التى تزوجها إسحاق المؤتمن .

وأولاده الذكور هم : القاسم ، ومحمد ، وعلى ، وإبراهيم ، وزيد ، وعبد الله ، ويحيى ، وإسماعيل ، وإسحاق . أما أمهم فأم سلمة زينب ابنة الحسن عمه ابن الحسن بن على بن أبى طالب .

وكان الحسن رضى الله عنه مجاب الدعوة ، يقال مرت به امرأة وهو فى الأبطح ومعها ولدها فاختطفه عقاب ، فسألت الحسن أن يدعو الله لها برده ، فرفع يديه إلى السماء ودعا ربه ، فإذا بالعقاب قد ألقى الطفل من غير أن يضره بشئ ، فأخذته أمه .

* * *

الفهرس